أندرونيقوس كومنين

وسياسة بيزنطة الخارجية فى عهده

١١٨٣ - ١١٨٥م

إعداد

د كتـــور

محمد محمد عبد الحميد فرحات

مدرس تاريخ العصور الوسطى - كلية تربية العريش

جامعة قناة السويس

تعتبر أسرة كومنين من أهم وأعظم الأسرات البيزنطية التى تربعت على عرش القسطنطينية ، حيث واكب فترةحكمها تغيرات سياسية خطيرة لم يقتصر أثرها على الدولة البيزنطية فحسب ، بل على الغرب الأوروبى والشرق الأدنى الأسلامى ، لذا كان على أباطرة هذه الأسرة ينتهجوا سياسة خارجية حكيمة للتصدى لهذه التغيرات ، وقد أتسمت تلك السياسة بصفة عامة بالمرونة ، فلجأوا إلى الدبلوماسية حينا وإظهار القوة أحيانا ، وقد نجحوا فى ذلك إلى حد كبير وذلك إبان فترة حكم كل من الكسيوس الأول AlexiosI مؤسس الأسرة ١٠٨٠– ١١١٨ م ، ويوحنا John ١١١٨– ١١٤٣ م ومانويل Manuel ١١٤٣– ١١٨٠م . وبموت الأخير أخذت بوادر الضعف والأنهيار تدب فى جسد تلك الأمبراطورية خاصة وان الأمبراطورمانويل كان أوربى الطابع والنزعة شغوفا بكل ما هوغربى ، فاعتمد كثيرا على الغربيين فى كثيرمن الأمور خاصة الأقتصادية والعسكرية ، مما أوجد نوعا من السخط والكراهية أخذت تتفشى بسرعة هائلة بين أبناء الأمبراطورية البيزنطية ، ولم يحد من غلوائها سوى ما تمتع به الأمبراطور مانويل من قوة فى السيطرة على زمام الأمور فى دولته .

وبعد وفاة الأمبراطور مانويل ١١٨٠م وتولية زوجته ماري الأنطاكيMaria of Antioch الوصاية على ابنها القاصر اليكسيوس الثانى Alexiox II وجد هذا السخط متنفساً له ، فنظراً للاتينيتها وانتهاجها نفس سياسة زوجها الغربية وإسنادها الإشراف على الحكم لخليلها اليكسيوس البروتوسباستوس(١) Alexios Protosebastos ، كرهها الشعب وقامت عدة محاولات للإطاحة بها ، إلا انهاباءت بالفشل لافتقارها إلى

١– معنى هذا اللقب (الجيل الأول) وهو لقب شرف دون لقب قيصر Caesar وكان يسمح لحاملى هذا اللقب وزوجاتهم أن يتناولوا الطعام على المائدة الإمبراطورية. انظر من ذلك.
Runciman, Byzantne Civilization , Seventh Impression, Great Britain , 1975, P. 84.

انظر ايضاً : إسمت فنيم : الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافها ضد القسطنطينية دار المعارف ١٩٨٢ص ٤٠ حاشية رقم ٢ .

التخطيط السليم والزعامة القوية ، ولكن سرعان ماوجدت تلك المعارضة ضالتها المنشودة فى شخص عضو بارز من البيت الكومنيتى وإن كان من فرع آخر غير الفرع الحاكم وهو الأمير أندرونيقوس كومنين Andronikos Comnen الذى كان يراقب من منفاه ببونطس Ponts- على البحرالأسود – ما يجرى من أحداث فى القسطنطينية فاستغل فرصة اضطراب الأحوال بالقسطنطينية وتحفز المعارضة الداخلية ليثب على العرش مشاركاً الإمبراطور اليكسيوس القاصر فى الحكم فى أول الأمر، ثم منفرداً بالحكم بعد ذلك ليدير بمفرده سياسة الدولة البيزنطية فى فترة من أخطر وأحلك الفترات التى شهدتها البلاد خلال تاريخها رغم قصرها الواضح من ١١٨٣–١١٨٥م .

ولد أندرونيقوس كومنين سنة ١١٢٠م ، ووالده هو اسحق كومنين Isaac Comnen شقيق الإمبراطور يوحنا الثاني John II ، ويعتبر أندرونيقوس كومنين مثالاً متكاملاً للفارس البيزنطى فى العصور الوسطى بكل محاسنه ومساوئه ، فقد كان فارع الطول ذا قوة هرقلية ، حاد الذكاء ، فصيحاً صريحاً لدرجة أن الآخرين كان يخشونه وكان من اليسير عليه الإنسحاب بلباقة إذا شعر بحرج موقفه ، وكان شديد الإقناع صعب المعارضة(١) ، ذا علم واسع يعرف جيداً الأدب المقدس . كما كان مقداماً لايبالى بالأعداء يقتحم صفوفهم دون أن يهاب شيئاً (٢) .

١– Niketas , Ocity of Byzantium , Annals of Niketas Choniates, Translated by Harry J. Magoulias , wayne State University Press Detroit, 1984, P. 193, Cf. also . Hussey, the Later Macedonians , the Comneni and the Angeli 1025-1204, C. M. H., IV, PT. Part. 1. 2nd edited in 1976(P.P. 193-259), P. 244; Ostrogorsky, History of the Byzantine State, English Thrans by Hussey , Oxford, 1968,P. 394

٢– Niketas , OP. Cit., P.P. 193, 194 Cf. also, A. Vasiliev , History of the Byzantine Empire, 324-1453, London , 1971, Vol. 11, P. 377; Boundrillart, M. V. C. Dictionnaire d'Histoire et de Geographie Ecclesiastique, Vol. 11, Paris, 1914, P. 1174; Tout , the empire and the Papacy , London , 1924, P. 340

ورغم كل الصفات الطيبة التى تتمتع بها ، إلا أنه لم يبال بالدين ، فكان لا يخشي الله أو الشيطان ، إضافة إلى أنه كان متشائماً ويؤمن بالخرافة والسحر (١) ، وليس لدية مبادىء ولا يخشى شيئا ، ولم يمسكة شيء ولا يمنعة أى قلق تجاه خلق عام ولا الشعور بالواجب أو الجميل (٢). كان فخورا بنشأتة يحلم بالعرش وهو بعد صغير ، يستخدم جميع الأساليب ، كل الطرق كانت فى نظرة نافعة من السيف إلى السم ، التآمر والعنف والقسوة والخبث ، ولذلك كان منافقا كبيرا وممثلا بارعا وحرباء متعددة الألوان ، وازدادت مع الكبر قسوتة وخلاعتة وأصبح لا يحتمل ، وقد ملأ القرن الثانى عشر بمغامراتة العاطفية التى أصبحت مثار حديث أهل القسطنطينية (٣).

نشأ أندرونيقوس كومنين وترعرع فى بلاط القسطنطينية مع ابن عمة مانويل وعاش الإثنان حياة ملؤها الحب والوئام(٤) وظلا على هذا الحال حتى سنة ١١٤٢م عندما اشتركا معا فى الحملة العسكرية التى قادها الإمبراطور

١- Niketas , OP. Cit., P.P. 187-88

٢- Eustathius of Thessalonica, De Capta Thessalonika narratio, edited by I. Bekker. P.G. T 136,P.P. 25-26

انظر ايضاً روبرت كلارى ، فتح القسطنطينية على يد الصليبيين ، ترجمها من الفرنسية القديمة لها د. حسن حبشى ، القاهرة ١٩٦٤م، ص ٥٦ . انظر ايضاً : لمان : الإمبراطورية البيزنطية ، تعريب د. مصطفى طه بدر، دار الفكر العربى ، بدون تاريخ ص ٢١١

٣-لمزيد من التفاصيل عن مغامرات اندرونيقوس العاطفية انظر :

Charles Diehl, Les romaneesques aventures d'Andeonic Comnene dans Fiures Byzantines . dans la Deuxiéme Serie, 1908,Pairs , 1908,P.P. 86-133.

٤- Kinnamos . Deeds of John and Manuel Comnenus , Trans by Charles M Brand, New York, 1976, P. 100.

يوحنا ضد بلاد الشام (١) . وعندما وافت المنية الإمبراطور يوحنا فى قيليقية عام ١١٤٣م أسرع إبنة مانويل بالعودة إلى القسطنطينية مارا بأسيا الصغرى حتى يصل إليها فى أقرب وقت ليخلف أباه على العرش (٢) ، بينما تخلف أندرونيقوس عن صفوف الجيش بغرض الصيد ، فوقع فى أيدى أتراك قونية . ولما كان مانويل حريصا على الوصول بأقصى سرعة إلى عاصمته فإنه لم يبذل أى جهد من أجل إنقاذ حياة أبن عمة أندرونيقوس ، ومنذ تلك اللحظة تصدعت العلاقة بين الصديقين وانفصمت عرى المودة بينهما وحل الحقد والكراهية محل الود والوئام خاصة وأن مانويل لم يحاول تبرير موقفة ولم يقدم اعتذارا لما حدث منه بعد أطلاق سراح أندرونيقوس ، ومما دفعة إلى ذلك أنه كان يغار من قدرات أبن عمة الجسمانية والذهنية الأمر الذى اوغر صدر أندرونيقوس علية ولم يعد بالإمكان بقاء الرجلين فى مكان واحد (٣).

أخذ أندرونيقوس يكيد لأبن عمة محاولا النيل منه ومن سمعته مستغلا العلاقة الآثمة التى كانت تجمع بينه وبين عشيقته إيودوكيا Eudokia – إبنة أندرونيقوس شقيق الإمبراطور مانويل وأخت ثيودورا Theodora محبوبة الإمبراطور – للتشهير بمانويل وعائلتة (٤) ، الأمر الذى لم يحتمله الأخير . وحتى يبعد عنه هذا الخصم العنيد لجأ عام ١١٥١ م إلى

١–الجدير بالذكر ان الإمبراطور يوحنا كان يهدف من وراء حملته تلك انتزاع إمارة انطاكية من ايدى ريموند الف بواتيه (١١٣٦ – ١١٤٩م) وعودتها ثانية إلى الحظيرة البيزنطية ولكنه فشل فى ذلك ، ولمزيدمن التفاصيل عن تلك الحملة انظر

Kinnamos, OP , 26 . Cit , P.P . 26 - 27 : Niketas, OP . Cit .,P.P.25- 27

2- Kinnamos , OP . Cit ., P.P . 27, 33 -4 : Niketas , OP . Cit ., P . 30

٣– اشار نيقتاس إلى ان السلاجقة اطلقوا سراح اندرونيقوس دون أن يدفع فدية : وللمزيد انظر :

Niketas , OP . Cit ., P . 30

4-Ibid ., P.P . 59 - 61

منحة لقب دوق قيليقية وكلفه بمهمة إخضاع الأمير ثوروس الثانى الأرمينى ThorosII (١١٤٤ – ١١٦٧ م) (١) إلا أن هذه الحيلة لم تنطل على أندرونيقوس الداهية الذى وجد أن هذه المهمة ما هى إلا حيلة لإبعاده عن القسطنطينية ، فعزم على الظهور بمظهر من لا يليق بما كلف به ، فلم يثبت أمام قوات ثوروس وفر منهزما إلى أنطاكية ، ومنها عاد أدراجه ثانية إلى القسطنطينية (٢) .

ورغم ما حدث من أندرونيقوس ، لم يبد الأمبراطور مانويل أى ضيق أو سخط تجاهه ولم يقم حتى بتوبيخه ، بل على العكس من ذلك فقد كلفه بمهمة الدفاع عن حدود الإمبراطورية ضد الخطر المجرى ومنحه لقب دوق بلجراد Belgrade وبرانسيفو Branicevo (٣) .

١- أرسل الإمبراطور مانويل حملته العسكرية بقيادة ابن عمه أندرونيقوس كومنين لاستعادة النفوذ البيزنطى بقيليقية وتأديب الأمير ثوروس الإرمينى الذى شق عصا الطاعة على السيادة البيزنطية واستولى على عدد من المدن البيزنطية بالإقليم ، ولمزيد من التفاصيل عن تلك الحملة راجع :

Kinnamos ,OP . Cit ., P.P. 96 - 7 : Gregoire le Pretre ,Chron ique de gregoire le Pretre , Cf. R. H. C. Dos. Arm ., I , (P.P. 151 - 201) ,P.P. 168 - 170 ; Guiragos de Kantzag Histoire d, Armenie , extrait , CF. R. H. C. Dos, Arm ., I, (P.P. 413-430) ,P .414 : Vahram d'Edesse , Chronique Rinee des Rois de la Petite Armenie , Cf. R. H. C. Doc . Arm ., I , (P.P. 493 - 535) ,P.P. 503 -6

ولمزيد من التفاصيل عن دوافع تلك الحملة وأهم نتائجها راجع : محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد الإمبراطور مانويل الأول ١١٤٣ – ١١٨٠ م ، دار المعارف ١٩٨٥ م ، ص ١٨٩ – ١٩٤

2- Kinnamos , OP . Cit., P.P 98 -100

3- Ibid., P.89 : Niketas , OP . Cit ., P . 58

والجدير بالذكر أن الإمبراطور مانويل قام فى عامى ١١٥٠–١١٥١ بشن حملتين على المجر لتحالفها مع الصرب ونورمان صقلية فى جنوب إيطاليا أعداء الإمبراطورية البيزنطية ولمزيد من التفاصيل أنظر :

Gy Moravcsik,Hungry and Byzantium in the Middle Ages,C. M.H., IV, PT .I. (2nd. ed. 1976, P.P. 567-595). P. 582

وهنا نتسائل ما الذى دفع مانويل للتصرف على هذا النحو مع أندرونيقوس ؟! هل هو سعة صدر ونبل أخلاق منه ، أنه كان مضطرا إلى ذلك اضطرارا ؟ الواقع أن مانويل كان مضطرا للتصرف على هذا النحو لأن ابن عمة أندرونيقوس يكاد يكون هو الأمير الوحيد فى البلاط الذى يجرؤ على معارضته وجها لوجه ، فضلا عما اشتهر به من تدبير المؤامرات المستمرة ضده (١) . وخير شاهد على صدق ما ذهبنا إليه هو أن أندرونيقوس بعد ما كلف بمهمته الجديدة ومنح لقب دوق بلجراد وبرانسيفو لم يكف عن التآمر ضد مانويل ، بل حاول أيضاً الإطاحة به فعرض على جيزا Geza ملك المجر التنازل له عن ولايته مقابل مساعدته فى الأستيلاء على العرش البيزنطى والقضاءعلى مانويل (٢) ، كما أنه أرسل السفارات إلى إمبراطور المانيا فريدريك الأول بربروسا FrederickI Barbarossa (١١٥٢-١١٩٠م) لطلب المساعدة منه فى الوقت المناسب (٣) .

وتعددت القرائن والأدلة فى أيدى مانويل وتأكد من خيانة ابن عمة له فذهب إليه فى معسكر بلاجونيا Pelagonia -غربى مقدونيا-وهناك حاول أندرونيقوس إغتيال الإمبراطور أكثر من مرة ، إلا أنه فشل فى ذلك وقبض عليه الإمبراطور وزج به فى سجن القصر الكبير بالعاصمة (٤) .

1- Ostrogosky, OP . Cit ., P. 395

٢- والجدير بالذكر أن جيزا ملك المجر وافق على عرض أندرونيقوس السابق وتوجه إلى برانسيفو ، وهناك علم بالقبض على أندرونيقوس فشل مخططه ونجحت القوت البيزنطية من رد قواته علىاعقابها، وللمزيدانظر :

Kinnamos ,OP . Cit ., p.p. 86 - 133

3-Ibid ., P. 100: Cf . also , Gy Moravsik , OP . Cit ., P.P. 581- 82 : Baudrillart, OP. Cit., P. 1174

ولم تمدنا المصادر المتاحة بمعلومات توضح لنا رد فريدريك بربروسا على طلب أندرونيقوس

٤- أسهب كينامو س Kinnamos فيذكر تفاصيل أندرونيقوس ضد الإمبراطور مانويل ، عن ذلك أنظر :

Kinnamos , OP. Cit., P.P. 100 -3 : Niketas ,OP . Cit ., P.58

لقد كانت فترة أسر أندرونيقوس الطويلة والتى امتدت من عام ١١٥٥ م إلى عام ١١٦٤ م مادة خصبة لسلسلة من القصص والطرائف (١) ، إذ حاول خلالها الهرب أكثرمن مرة ، إلا أنه فشل فى ذلك (٢) . وظل يعاود المحاولة تلو الأخرى إلى أن نجح أخيرا فى ذلك عام١١٦٤م بفضل مساعدة زوجته له، والتجأ إلى دوق روسيا العظيم ياروسلاف Iaroslave فى جاليشيا Halitich الواقعة على نهر الدينستر Dneister حيث اكرم يارسولاف نزله وأحسن وفادته مما أثار قلق الإمبراطور مانويل الذى لم يكن يأمن قط جانب أندرونيقوس ففضل مسامحته والعفو عنه عن أن يتركه بعيدا عنه لا يدرى شيئا عما يدبره ضده من مؤامرات ، فاستدعاه إلى القسطنطينية ليكون تحت سمعه وبصره ، إذ خشى أن يتحالف أندرونيقوس مع ياروسلاف ويشكلا خطراجديدا على دولته فعاد أندرونيقوس ثانية معززا مكرما إلى القسطنطينية (٣) .

أمل الإمبراطور مانويل هذه المرة أن يعيش أندرونيقوس فى العاصمة فى سلام ويتخلى عن تدبير المؤامرات وإثارة الفتن ضده ، ولكن خاب أمله ، إذ لم يكن بوسع ابن عمه أن يتخلى عن روح الغدر والخيانة التى تأصلت فى دمه . فمن المعروف أن مانويل حتى ذلك الحين (أواخر سنة ١١٦٥ أوائل سنة

Charlecit.es Dichl , OP. Cit., P.P. 86 - 133

Kinnamos , OP . Cit., P.P. 175- 77 Cf . also , Vasilicv, OP . Cit., P. 378

Kinnamos, OP. Cit., P.P. 175 , 188 , Cf . also , Ostrogorsky , OP. Cit., P. 395

١١٦١ م) لم ينتجب وليا للعهد فاراد توحيد إمبراطورية المجر مع إمبراطورية بيزنطة عن طريق المصاهرة بان يزوج ابنتة مارى Mary من الأمير بيلا Bela الذى سيئول إلية عرش المجر فى مابعد ليكونا خليفية على عرش البلاد(١) . وعندما طلب من اندرونيقوس أن يحلف يمين الولاء لهما باعتبارهما ورثة العرش رفض اداء اليمين . وكان من الممكن ان يتغاضى مانويل عن اعتراض اندرونيقوس إذا توقف الأمر عند ذلك الحد ، إلا انه حينما راي أن رفض اندرونيقوس يلقي صدي لدي العديد من امراء البلاط الآخرين خشي ما نويل من عواقب ذلك ، فاضر إلي إبعاد اندرونيقوس عن القسطنطينية وإرساله إلي قيليقية مرة أخري عام ١١٦٦م (٢) ، إذ عهد إليه الإمبراطور مانويل مهمة إخضاع الأمير ثوروس الأرميني فلم يكن من أندرونيقوس سوي تكرار مافعله في المرة السابقة (٣) ، وأكثر من ذلك قام بقتل ستيفاني Stephani شقيق الأمير ثوروس مما اثار حفيظة الأرمن الذين

١- من المعروف أن الإمبراطور مانويل نظرا لعدم وريث يخلفة على عرش البلاد حتى ١١٦٦م عمد إلى زواج ابنته مارى من الأمير المجرى بيلا ليخلفه على عرش القسطنطينية ويوحد بذلك عرش المجر وبيزنطه ، إلا أنه فى نهاية ١١٦٩م ولد لمانويل ابنه اليكسيوس من زوجته مارى لأنطاكية فتغيرت خطط السابقة لوراثة العرش فبدلا من أن يتزوج بيلا إبنه الإمبراطور تزوج من أن دى شاتيليون Anne de Chatillon وغادر القسطنطينية عام١١٧٢م للتربع على عرش المجربعد أن أدى يمين الولاء له موضحا أنه سيرعى دائما جانب الإمبراطورالإمبراطورية وسيحافظ على صداقتة وتحالفة مع بيزنطه ، ولمزيد من التفاصيل راجع:

Kinnamos, OP. Cit., P.P. 163 ,214 . : Niketas , OP. Cit., P.P. 73, 78
Cf .also , Moravcsik, OP. Cit., P.P. 583 - 84

2- Kinnamos ,OP. Cit., P.P . 163 , 188 Cf . also , Hussey J . M. The Byzantine
World , London, 1967 , P.61

3- Niketas ,OP. Cit., P. 79

قاموا بالإنتقام من الرعايا البيزنطيين بالمنطقة وقتلوا منهم أعداداً كبيرة (١) . ولما رأي اندرونيقوس انه لامقام له بقيليقية وسط ثورة الأرمن وانتقامهم رحل إلي انطاكية حيث دخل في علاقة غرامية جديدة مع الأميرة فيليبا Philipa شقيقة الإمبراطورة ماري زوجة مانويل ، مما اثار غضب الأخير وحنقه عليه (٢) . ولما رأي اندرونيقوس أن الجو لم يعد مناسباً للإقامة في انطاكية والإستمرار في تلك العلاقة ، تركها متوجهاً صوب مملكة بين المقدس التي وصلها اثناء غياب الملك عموري الأول ١١٦٣ – ١١٧٤م في حملته علي مصر (٣) . وعندما عاد الملك من حملته اعجبه ما عليه اندرونيقوس من وجاهة ووسامة ، فضلاً عما جلبه معه من جنود واموال كانت عوناً كبيراً للملك (٤) . وطلب اندرونيقوس من الملك عموري التوسط بينه وبين الأمير

١–من ظروف تولية اندرونيقوس إقليم قيليقية وقتله الأمير استيفانى شقيق ثوروس ورد الفعل الأرميني انظر:

Sempad , le Conetable , Chronique du Royaume de la Armenie , extrait Cf . R. H. C.Doc. Arm., 1, (P.P. 616-19)P. 621;Guiragos de Kantzag, OP. Cit., P. 416 ; GregoirelePretre,Op.Cit., P. 198.

٢– كسهب نيكيتاس على تفاصيل علاقة اندرونيقوس بفيليبا انظر:

Niketas ,OP. Cit., P.P. 79-80; Kinnamos , OP. Cit ., P. 188.

٣– ماتت الأميرة فيليبا كمداً بعد سنوات قليلة من غدر اندرونيقوس بها، ولمزيد من التفاصيل عن ذلك انظر :

Niketas ,OP. Cit., P. 79

بينما ذكر الصورى أن اندرونيقوس قد تزوج من فيليبا ثم طلقها، وهذا خطأ وقع فيه المؤرخ ، انظر :

William of Tyre, A History of Deeds Done Beyond The Sea , Trans . by Bad Cock and Krey, 2 vols, New York, 1943Vol. 2, P.P. 416 - 17.

وعن وصول اندرونيقوس إلى مملكة بيت المقدس انظر :

Ibid ., P. 345.

٤– ذكر نيكيتاس أن اندرونيقوس أخذ الضرائب التى من قبرص وقيليقية وذهب بها إلى بيت المقدس ويرافقه أعداد لا بأس بها من الفرسان عن ذلك انظر:

Niketas ,OP. Cit., P. 78 ; Kinnamos, OP. Cit., P. 188; William of Tyre, Op. Cit., P. 345

ثوروس فوعده بذلك (١) ، ولما قام الإمبراطور مانويل بعزل أندرونيقوس عن حكم إقليم قيليقية ترضيةً لخواطر الأرمن جهة ، وعقاباً لأندرونيقوس من جهة أخري ، قام الملك عموري بمنحة إقطاعية بيروت تعويضاً له وذلك في عام ١١٦٧م(٢) . والواقع أن حكم أندرونيقوس لبيروت كان حكماً صورياً إذ لم يكن لديه من الوقت ما يقضيه في تصريف شئون إقطاعيته ، بل كان مشغولاً بعلاقته الغرامية الجديدة مع ثيودورا أرملة الملك بلدوين الثالث وقريبة الإمبراطور مانويل ، وهي شابة في مقتبل العمر وعلي قدر كبير من الجمال وكانت تملك إقطاع عكا كميراث من زوجها الراحل وشاعت في أرجاء مملكة بيت المقدس تفاصيل تلك العلاقة الآثمة (٣) ، فاستشاط الإمبراطور غضباً عند سماع أنباء تلك العلاقة ، فأرسل علي الفور خطاباً إلي الملك عاموري ملك بيت المقدس يحثه فيه علي ضرورة القبض علي أندرونيقوس وسمل عينيه وإرساله إلي القسطنطينية (٤) . ولحسن حظ أندرونيقوس وقع ذلك الخطاب في أيدي لأميرة ثيودورا التي أطلعته علي فحوي ماجاء به ، ولما رأي أندرونيقوس أنه ليس من الحكمة الإستمرار في الإقامة في بيت

١- Michel le Syrien , La Chronigue de Michel le Syrien , Cf. R,. H. C. Doc. Arm. T. 1 (P.P. 309-409)P. 355

٢- أرسل الإمبراطور مانويل القائد قسطنطين كولان Constantine Colmon ليحل محل أندرونيقوس في حكم قيليقية من جهة ، وفي قلب قيليقيا إن أمكن من جهة أخرى ، عن ذلك أنظر :

Niketas ,OP. Cit., P. 80

أما عن منح الملك عموري بيروت لأندرونيقوس راجع :

William of Tyre , Op. Cit., Ii, P. 395

٣- عن حكم أندرونيقوس لإقطاعية بيروت وتفاصيل علاقته بثيودورا راجع : محمد محمد فرحات : بيروت ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي ١١١٠- ١٢٩١م/ ٥٠٣-٦٩٠ هـ رسالة دكتوراه لم تنشر بعد، الإسكندرية ١٩٩٤م ص ٢٣٠-٢٣٣

٤- Niketas ,OP. Cit., P. 80 Cf. also , Vasiliev , OP. Cit., P. 378

المقدس ، نظراً لأن الملك عموري لم يكن بوسعه رفض طلب الإمبراطور ، هذا من جهة ، ورفضت الكنيسة زواجه من ثيودورا نظراً صلة القرابة الوثيقة بينهما (١) من جهة أخري ، لذا فضل الرحيل معها عن المنطقة والتوجه صوب دمشق حيث الملك نور الدين محمود الذي أكرم وفادتهما . ومن دمشق أخذاً يجوبان بالاط أمراء الشرق حتي أستقرا في النهاية في إحدي القلاع علي الحدود التركية البيزنطية لدي أحدي الأمراء الأتراك ومنها أخذ أندرونيقوس يعترض طريق القوافل التجارية ويشن الغارات علي الحدود البيزنطية (٢) .

مما سبق يتضح لنا أن أندرونيقوس قد تعمد الكيد لإبن عمه والنكاية به والعمل علي إذلاله والتشهير به وبسمعته عن طريق تلك العلاقة العاطفية الآثمة ، فوقع أختياره علي كل من لها صلة قرابة بالإمبراطور مانويل ليكون ذلك أشد في الإذاء والمهانة . ولعلنا لم نجانب الصواب عندما نؤكد أن ما لاقاه أندرونيقوس من شهره بسبب مغامراته العاطفية في القرن الثاني عشر ، لم يكن مرده إلي كثرة مغامراته أو علاقته مع الأميرات البيزنطيات علي وجه الخصوص بقدر ما كان لهؤلاء الأميرات من مكانة ومنزلة وعلاقة وثيقة بالإمبراطور مانويل .

وينفرد الرحالة ابن جبير برواية ذكر فيها أن أندرونيقوس قد أعتنق الإسلام ، وسيق له صليب ذهبي قد أحمي عليه في النار ، فوضعه تحت قدمه

١- يعتبر أندرونيقوس ابن أسحق شقيق الإمبراطور يوحنا الثاني في حين كانت ثيودورا ابنة اسحق بن يوحنا الثاني أنظر :

Niketas ,OP. Cit., P. 128 ,N. 610

٢- Kinnamos , OP. Cit., P. 188; Niketas , OP. Cit ., P. 81

انظر أيضاً : ابن جبير : الرحلة ، ص ٢٣٤

وهي عندهم أعظم علامات الترك لدين النصرانية والوفاء بذمة دين الإسلام»(١) . والواقع أن الباحث لا يميل إلي الأخذ بما أوردته تلك الرواية السابقة ، فالثابت أن أندرونيقوس قد أقام فترة ليست بالقصيرة لدي السلطان قلج أرسلان الثاني سلطان قونيه (١١٥٦ – ١١٨٨م) الذي كان له فضل كبير عليه أثناء تلك الفترة وما بعدها (٢) ، فقد سمح له خلال إقامته عنده باتخاذ بلاده قاعدة لشن الغارات علي حدود الدولة البيزنطية وإعتراض طريق القوافل وغير ذلك من الأعمال . وعلي الرغم من كل ذلك فإن الباحث لا يميل إلي الأخذ بما أوردته رواية ابن جبير ، نظراً لأن مبادىء الإسلام وسماحته تنهي عما قام به أندرونيقوس من أفعال لاحقة . وإن صح أن أندرونيقوس أعتنق الإسلام فمن غير شك أنه كان يتظاهر به فقط دون الإعتقاد فيه وربما فعل ذلك ترضية للسلطان قلج أرسلان الثاني ، وليس عن إقتناع شخصي بالإسلام ليستدر عطفه وليبقي علي تلك الرعاية التي يوليها إياه السلطان قلج أرسلان الثاني (٣) ، ولربما يكون ذلك من التمثيليات التي كان يجيد لعب أدوارها ليتفادي بذلك قرار الكنيسة بحرمانه الزواج من ثيودورا – التي كان مولعاً بها – لصلة القرابة بينهما .

ومن العجيب أن بعض المصادر المعاصرة أشارت إلي أن الوحشية التي أتسم بها أندرونيقوس خلال فترة حكمه إنما كان مردها إلي المدة الزمنية الطويلة التي قضاها في بلاد المسلمين ، وقد أقتفي بعض المؤرخين

١– ابن جبير : نفس المصدر والصفحة

٢– أمد السلطان قلج ارسلان الثاني اندرونيقوس بأعداد كثيرة من الأتراك عند دخوله القسطنطينية في ربيع ١١٨٢م، عن ذلك أنظر : ص ١١ من هذا البحث

٣– ابن جبير : المصدر السابق ص ٢٣٤

المحدثين أثر هذه المصادر وأيدوها فيما روته(١) . فلو صح إسلام أندرونيقوس كما أشار ابن جبير لتحسنت أخلاقه ، فالاسلام يحض علي حسن الخلق هذا من جهة ، ولوسلمنا بما أوردته المصادر والمراجع الأجنبية عن أزدياد وحشية أندرونيقوس كومنين أثناء فترة حكمه للدولة البيزنطية ، فإننا لانتفق مطلقاً مع هذه المصادر في أن سبب هذه الوحشية هو معاشرته للمسلمين وتأثره بسوء طباعهم وأخلاقهم من جهة أخري .

أزداد غضب الإمبراطور مانويل على ابن عمه أندرونيقوس لمقامه لدى الأمراء المسلمين من جهة ، وما يقوم به من أعتداءات على الحدود البيزنطية من جهة أخرى ، ولم يدخر وسعا للقبض عليه والإنتقام منه ، إلا أنه فشل فى ذلك وإن تمكن من الإيقاع بزوجته وأولاده (٢) . ولما كان أندرونيقوس مخلصا فى حبه لثيودورا فإنه لم يتحمل فراقها وحزن لذلك حزنا شديدا ، واضطر إلى المثول بين يدى ابن عمه مانويل متذللا طالبا الصفح والغفران ، فرق قلب مانويل له وعفى عنه فى يوليو ١١٨٠م، إلا أنه لم يبقه معه فى القسطنطينية، بل منحه حكم إقليم بونطس Ponts على البحر الأسود ليقيم فيه بعيدا عنه وكان ذلك بمثابة منفى مكرم لقريب خطر يخشى جانبه (٣) . ولم يمض

1-Nikefas ,OP. Cit., P.194 , Cf . also,Charles Diehel , OP , Cit.,P. 123

2- -Niketas ,OP. Cit., P. P. 81-128.

3-Ba rHebraeus,the ChronographyofGregory Abu'l faraj. Translated from the Syriac by Ernest A. Wallis Budge , Vol .I, London , 1932 , P.312 : William of Tyre , Op. Cit., P. 463 : Niketas ,OP. Cit., P. 123 ,Cf . also , Husscy , the latre Maccdonians , the Comneni and the Ang'eli,1025-1204,C.M.H.IV Pt. Part.1, 2nd. ed.Husscy , Cambridg'e 1976, (P.P. 193 - 259) , P. 244

لنظر أيضا : محمد الشيخ : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، دار المعارف الجامعية ، لسكندرية ١٩٩٤ ، ص ٣٧٧

أكثر من ثلاثة شهور على مقامه ببونطس حتى مات الإمبراطور مانويل عام ١١٨٠م ليتجدد الأمل مرة أخرى فى نفس أندرونيقوس ويتطلع للتربع على عرش القسطنطينية (١) .

تربع على عرش القسطنطينية بعد موت مانويل أبنه القاصرالكسيوس الثانى ALexis II من زوجته اللاتينية مارى الأنطاكية Mary of Antioch التى تولت الوصايا عاى أبنها لحين بلوغه سن الرشد (٢) . ولم تكن مارى تتمتع بأى شعبية فى القسطنطينية على الإطلاق ، إذ كانت تمثل بالنسبة لشعبها امتدادا لسياسة مانويل اللاتينية المقوتة من قبل عامة الشعب ، ومن رجال الكهنوت البيزنطيين الذين يرفضون الأتحاد مع كنيسة روما الكاثوليكية ، كما كانت مكروهة من قبل الطبقة البرجوازية التى لم تحتمل تلك المنافسة الكريهة من قبل الجاليات الإيطالية التى تمتعت بامتيازات عديدة داخل حدود الإمبراطورية (٣) . ومما قلل أيضا من شعبيتها سحبها السلطة

1- -Niketas ,OP. Cit., P. 128.

2- Ibid ., P. 153 , William of tyre , OP . Cit., P . 461

انظر أيضا : روبرت كلارى : المصدر السابق ص ٥٥ ، ابن جبير : ارحلة ص ٢٣٤ ، فى حين ذكر إرنول ان مانويل قبل موته اسند الوصاية إلى اندرونيقوس وهذا خطأ وقع فيه المؤرخ انظر :

Ernol , Chronique d' Ernol et de Bernard le Tresorier , Ed . L. d Mas Latrie , Paris , 1871, P .89

٣- أرجع المؤرخ وليم الصورى سبب كراهية البيزنطيين للاتين إلى عاملين رئيسيين هما العامل الدينى والعامل الإقتصادى عن ذلك انظر :

William of tyre , OP . Cit., P . P . 461-62 Cf. also , R. Cessi ,Venice to the eve of the fourth crusade , C.M.H.,IV,Pt, 2nd . ed ., 1976 , (P.P. 251- 274) , P.P. 273- 74

انظر انظرايضا : روبرت كلارى : فتح القسطنطينية ص ٥١- ٥٣

من بين يدى جميع أمراء الدولة لتمنحها كاملة إلى محبوبها الكسيوس كومنين الملقب بالبروتوسباستوس (١) Aexios Protosebastos ابن أخ الإمبراطور مانويل الذى لم يحظ بتأييد وحب الشعب بل على العكس من ذلك كان ممقوتا بغيضا وقد استحوذ على كل السلطات وأخذ يتصرف فيها وفق هواه (٢) ، لذلك لجأت البلاد تغلى من الداخل منتظرة الوقت المناسب للتخلص من تلك الزمرة الحاكمة .

قامت عدة محاولات يتزعمها أفراد من البيت الكومنينى تساندها الكنيسة والشعب للإطاحة بهذا النظام ولكن ذهبت مثل هذه المحاولات جميعها أدراج الرياح وذلك لأن المعارضة كان يعوزها القائد المؤثر فى القسطنطينية (٣) وتطلعت أنظار المعارضة إلى أندرونيقوس كومنين الذى كان مقيما وقتئذ باقليم بونطس ولجأ إليه عدد كبير من الثائرين على تلك الأوضاع (٤)، مما جعل الفرصة سانحة أمامه للتحرك خصوصا وأنه يعلم بواطن الأمور وخفاياها من أبنائه المقيمين بالقسطنطينية وقد اتخذ أندرونيقوس من اليمين الذى سبق أن حلفه لأليكسيوس الثانى أمام مانويل

١- من هذا اللقب انظر ما سبق ص١ من هذا البحث حاشية رقم(١)

٢- أوضح لنا وليم الصورى أن اليكسيوس لم يكن مكروها من قبل البيزنطيين فحسب بل من قبل الاتين أيضا ، فذكر أنه كان جشعا وبخيلا لا يرى إنفاق من خزينة الإمبراطورية وكان كان قد جمعها بنفسه وبعرق جبينه . وأشيع أيضا أنه قد اقام علاقة إجرامية مع الإمبراطورة مما نها كانت قد ترهبنت بعد موت زوجها ، وعلاوة عليذلك كان رجلا متعجرفا وفيه غاية التكبر وعد نفسه متفوقا عليالجميع واستخدم كلشيء حسب رغباته الخاصة ودون مشاورة السادة الآخرين ، ويبدأنه لايهتم بشيء بالنسبة لباقين معانهم كانوا رجالا عظماء محترمة مساوية تماما لمنزلته. انظر :

Willam of Tyre, OP . Cit., P . 461, Cf. also, Niketas, OP . Cit., P . 167

3- Ostrogorsky, Hist. of the Byzantine State, P.P. 350-51

4- William of tyre, OP . Cit., P.P. 462-63

فريعة لكتابة عدد من الرسائل موجهة إلى كل من البطريق والوصية يحتج فيها على تلك الأضطرابات التى من شأنها تهديد ملك اليكسيوس الثانى (١).

وفى ربيع ١١٨٢م حشد أندرونيقوس عددا متواضعا من القوات من بينهم بعض الأتراك (٢) وسار متوجها صوب القسطنطينية وفى الطريق أخذت قواته تتعرض باضطراد نتيجة للأعداد الغفيرة من الساخطين التى أنضمت إليه. وعندما حاول اليكسيوس البروستيفانوس منع أندرونيقوس من عبور البرسفور عن طريق غلقة باسطوله الذين كان تشكل فى معظمه من الفريين (٣)، وأنحاز قائد الاسطول الأميرال أندرونيقوس كونتوستيفانوس Andronicus Contostephonus وعدد كبير من الفرق العسكرية إلى جانب أندرونيقوس كومنين مما عزز موقفه (٤).

أما على الجانب الآخر من البسفور فقد أنتهز الشعب الغاضب فى القسطنطينية هذه الفرصة لينفس عن الحقد والكراهية التى يكنها للاتين من وجهة، والقائمين على الحكم من جهة أخرى فقام بالقبض على أليكسيوس البروتوسباستوس وقادوه إلى أندرونيقوس الذى عقد الذى عقد له محاكمة صورية، وأمر بسمل عينية وزج به فى غياهب السجن (٥). ثم أخذ الشعب

1- Niketas, OP. Cit., P.P. 136-37, Cf. also, Charles Diehl, OP. Cit., P.P. 114-15

2- Niketas, OP. Cit., P. 137

أنظر ايضاً: ابن جبير: الرحلة، ص ٢٣٤، فى حين ذكر ويليام الصورى انهم من البرابرة

Cf. William of Tyre, OP. Cit., P. 462

3-Niketas, OP. Cit., P. 139

أنظر ايضاً: هايد: المرجع السابق، جـ١، ص ٢٣٢

4- William of Tyre, OP. Cit., P.P. 461-67; Eustathios of Thessalonica, OP. Cit., P.P. 30-4, Cf. also, Ostrogorsky, OP. Cit., P. 395

5- Niketas, OP. Cit., P. 140; William of Tyre, OP. Cit., P.P.463-64

يفرغ تلك الشحنة الهائلة من الكرهية والحقد في كل من وجدوه أمامهم من اللاتين وارتكبت مذبحة مروعة راح ضحيتها عشرات الآلاف منهم . كما أرسل أندرونيقوس بعض الفرق العسكرية للمشاركة فيها (١) . وهذا خطأ انزلق فيه أندرونيقوس وكان من الأجدى له أن يعبر سريعا إلى العاصمة ليكبح جماح هذه الثورة ، ويضع حدا لتلك المذبحة الرهيبة حتى يظهر أمام الغرب الأوربى بأنه لم يشترك فى هذا العمل البغيض ، بل عمل على وضع حد له ، ليبدوا أمامهم وكأنه غير معادى لهم ، مما كان سيجنبه الكثير من الأخطار . فلم يستطع أندرونيقوس أن يكبح جماح نفسة أو شعبه عن هذا الأمر وتناسى أنه سيصبح عما قريب أمبراطورا لهذه البلاد وبفعله هذا جلب على نفسه وعلى دولتة أخطارا كان فى غنى عنها .

على أى حال بعدما عبر أندرونيقوس البسفور إلى العاصمة استقبلة الناس على اختلاف طباقتهم على أنه المنقذ والمخلص (٢) لهم ورفعة البعض إلى درجة التبجيل . وظهر أندرونيقوس فى قمة النفاق عندما أعلن أنه لم يأت سوى للحفاظ على الإمبراطور القاصر وحمله إلى كنيسة سانت صوفيا حيث توج هناك (٣) .

١- لمزيد من التفاصيل عن ثورة القسطنطينية ورد الفعل الاتيني عليها راجع :

William of Tyre, OP.Cit., P.P. 461-67; Eustathios of Thessalonica, OP. Cit., P. P. 33-35; Michele le Syrian, OP. Cit., P.P. 389-92; Bar Hebraeus, OP. Cit., P. 312; Vartan I Grand, Abrege, d'Histoire Universelle, Cf. R.H.C., Doc. Arm., I, (P.P. 431-43), P. 437

2- Niketas, OP. Cit., P. 147 Cf. also, Charles Diehl, History of the Byzantine; EmPire, Translate dfrom the French by George B. Ives, New york, 1945, P. 113, 132

3- Nikets, OP. Cit., P.P. 147

أخذ أندرونيقوس يعمل جاهدا على إحلال أنصاره ومؤيدية محل معارضيه ومناوئية الذين أخذ يتخلص منهم بشتى الطرق ولم يفرق فى ذلك بين قريب له أو بعيد ، ولكى يحقق ذلك اقترف الكثير من الجرائم البشعة ما بين خنق وقتل وسجن ودس للسم ونفى وسمل للأعين إلى غير ذلك من ألوان التنكيل والتعذيب التى لم يستطع أن يترفع عنها رغم أنه حقق تقريبا ما كان يصبوا إليه من قبل ، فنراه مثلا يجبر الإمبراطور اليكسيوس الثانى القاصر على توقيع قرار يقضى بإعدام والدته مارى الأنطاكية الخيانة وتحريض ملك المجر على غزو الدولة البيزنطية (١) . أما الأميرة مارى إبنة الإمبراطور مانويل وزوجها فقد لقيا حتفهما من جراء تناولهما طعاما مسموما (٢) . وتتوالى الأحداث حتى يصدر مجلس الشيوخ قراره بإشراك أندرونيقوس فى أمور الإمبراطورية. وبقدرته المعروفة على التمثيل يرفض أندرونيقوس الجلوس على العرش فى بداية الأمر ، ولكن الجموع الغفيرة من الشعب تجبره على قبول ذلك ليصبح إمبراطورا مشاركا مع اليكسيوس الثانى وذلك فى شهر سبتمبر من عام ١١٨٣م (٣) .

لم يبق أمام أندرونيقوس للإنفراد بعرش القسطنطينية سوى التخلص من الإمبراطور القاصر اليكسيوس الثانى الذى وجد مخنوقا – بإيعاز من أندرونيقوس على الأرجح – فى فراشه ليلا وتم إلقاء جثته فى البسفور فى

1- William of Tyre, OP. Cit., P. 467; Niketas, OP. Cit., P. 149; Bar Hebraeus, OP. Cit., P. 312

2- Niketas, OP. Cit., P.P. 144-45

بينما ذكر ابن العبري انهما لقيا حتفهما غرقاً ، انظر:

Bar Hebraeus, OP. Cit., P. 312

3- Niketas, OP. Cit., P.150;Eustathius of Thessalonica, OP. Cit., P. 51

انظر ايضاً : أومان : المرجع السابق ص٢١١

نوفمبر من عام ١١٨٣م (١). أما الأميرة الفرنسية أجنس Agnes زوجة أليكسيوس الثانى ذات الأحد عشر عاما وإبنه الملك الفرنسى لويس السابع فقد تزوجها أندرونيقوس على الرغم من بلوغه سن الثالثة والستين ، والغريب فى الأمر أن أندرونيقوس لم يخجل من فعل ذلك رغم أنه بلغ من الكبر عتيا ، والأعجب من ذلك أن الأميرة لم تبد أى معارضة وتقبلت الأمر بصدر رحب رغم فارق السن الكبير بينهما (٢) . ولعل أندرونيقوس قد أقدم على هذا الزواج ليضفى على حكمه صفة الشرعية بزواجه من أرملة الإمبراطور السابق .

ومهما يكن من أمر ، فبعدما انفرد أندرونيقوس بحكم الدولة البيزنطية كان عليه أن يدير شئون البلاد خارجيا وهى تبعة مثقلة بالمتاعب جلبها على نفسه ودولته نتيجة لموقفة أثناء وبعد ثورة القسطنطينية ١١٨٢م – كما سبقت الإشارة (٣) – وقبل أن نستعرض تفاصيل تلك السياسة يجب أن نشير هنا إلى أن المصادر المتعلقة بفترة حكم أندرونيقوس كومنين (١١٨٣ – ١١٨٥م) بصفة عامة وسياسة بيزنطة الخارجية إبان فترة حكمه بصفة

1-Niketas, OP.Cit., P.153; Bar Hebraeus, OP.Cit., P.321; Ernoul, OP. Cit., P. 90 Cf. also, Ostrogorsky, OP. Cit., P. 396

2- Niketas, OP. Cit., P. 153: William of Tyre, OP. Cit., P. 467; Franz Dölger, ed., Regesten der Kaiserurkunden des Ostromis Chen Reichs Von 566 - 1453 , in C.G.U.M.N.Z. ., Munich and Berlin , 1924- 1960 , No . 1555 : Bar Hebraeus , OP. Cit., P. 312

ولمزيد من التفاصيل عن شخصية الأميرة أجنس وزواجها من أليكسيوس الثانى وأندرونيقوس كومنين وما حدث لها بعد ذلك ، راجع:

Charles Diehl, Figures Byzantines Deuxiem Serie,Paris,1908, P.P.191-205

٣– راجع ما سبق ص١١ من هذا البحث

خاصة ، قليلة للغاية ولم تمدنا بمعلومات تشفى غلة الباحث واكتفت بذكر إشارات مقتضبة عن علاقات بيزنطة الخارجية مع بعض البلاد المجاورة وصمتت عن البعض الآخر (١) . ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى قصر الفترة الزمنية التى تربع فيها اندرونيقوس على عرش الدولةالبيزنطية هذا من جهة ، وانشغاله بالسياسة الداخلية وتصفية معارضيه من جهة أخرى(٢)، الأمر الذى لم يعطه فرصة للإهتمام بالسياسة الخارجية للدولة البيزنطية .

على أى حال فرضت العلاقات المجرية البيزنطية نفسها على مسرح الأحداث السياسية حتى قبيل تربع اندرونيقوس على العرش ، إذ قامت الوصية مارى الأنطاكية – عندما استشعرت رغبة اندرونيقوس فى الأستحواذ على العرش – بإرسال عدة خطابات إلى زوج اختها بيلا الثالث Bella III ملك المجر تلح عليه بضرورة الإسراع إلى القسطنطينية لحمايتها وابنها الإمبراطور القاصرأليكسيوس الثانى من أطماع اندرونيقوس (٣). وعندما علم اندرونيقوس بتلك المراسلات قام على الفور بالقبض عليها وعقد لها

١– والجديربالذكران المصادر لم تمدنا بمعلومات توضح لنا سياسة بيزنطة الخارجية سوى مع المجر، البندقية ، البابوية ، صلاح الدين فى الشرق وأخيرا معبنورمان صقلية

٢– ينفرد المؤرخ نيقيتاس خونياتس بذكر تفاصيل اعمال اندرونيقوس الداخلية ، وأوضح انه نجح فى إنعاش الاقتصاد البيزنطى عن طريق محاربة الطبقة البرجوازية وإجبارهم على رد الأراضى التى اغتصبوها بغير حق من أهلها ورفع رواتب حكام الأقاليم لمنعهم من بتزاز الشعب ، كما منع محصلى الضرائب من المطالبة بالتحصيل مقدما مبلغ العام التالى ، وعدم استغلال نفوذهم . كما أرسل فى كل الولايات مراقبين مهمتهم وضع حد للتجاوزات والإنحرافات بكل صورهاواصدر قانونايقضى بعدم نهب السفن التى تتحطم فى الموانى البيزنطية وشدد العقوبة على المخالفين ، غير انه اسرف فى معاداة الطبقة البرجوازية التى وجدت نفسها فى عداء صريح معه ، وللمزيد عن السياسة الداخلية انظر :

Niketas, OP. Cit., P.171-74

3- Ibid, P.149: Cf . also ,Moravcsik, OP.Cit.,P. 584: Ostrog'orsky, OP. Cit.,P. 399

محاكمة قضت بإعدامها لخيانتها وتحريضهاملك المجرعلى غزو القسطنطينية . وإمعانا فى النكاية بهاجعل ابنها اليكسيوس يوقع بنفسه – راغبا أو راغما – على قرار إعدامها (١) . ولم يقض وقت قصيرحتى قام أندرونيقوس بالتخلص من اليكسيوس الثانى نفسه ليفوت بذلك على بيلا الثالث فرصة الحضور إلى القسطنطينية بحجة حماية شقيقة زوجته وابنها القاصر.

عندما وصلت أنباء موت ماري الأنطاكية وابنها اليكسيوس إلى مسامع بيلا الثالث تميز من الغيظ لإجتراء أندرونيقوس على تلك الفعلة وأدرك الغاية من ورائها . ومع ذلك لم يغير بيلا من عزمه على غزو القسطنطينية ، فبدلا من أن يحضراليها بوصفه مدافعا عن شقيقة زوجته وابنها تذرع بخطط مانويل السابقة والتى كان تتخول له حكم الدولة البيزنطية ، فتحالف مع ستيفن نيمانجا Steven Nemanja ملك الصرب وسار جنوبا متوغلا داخل حدود الدولة البيزنطية حتى يوصل إلى بلجراد وبرانسيفو وعاثا فى المنطقة فسادا(٢) .

عندما علم أندرونيقوس بالتحركات المجرية أمر قائدية الكسيوس براناسAlexios Branas واندرونيقوس لاباردسAndronikos Lapardas بالتصدى لبيلا وقواته ، غير أن لاباردس تمرد على سلطة الإمبراطور وترك قيادة الجيش وفر إلى المناطق الشرقية أملا أن يلفت حوله المعارضون لحكم أندرونيقوس ، إلا أنه فشل فى ذلك وأنتهى به الحال إلى وقوعة فى أيدى رجال أندرونيقوس الذى أمر بسمل عينية وإيداعه فى أحد الأديرة ليقضى نحبه هناك(٣) . أما القائد براناس فقد تمكن من التصدى للقوات المجرية وأوقف

1- Niketas, OP. Cit., P.149

2- Idem ., Cf. also, Hussey , the Later Macedonians, the Commen andthe Ang'eli, P. 245

3- Niketas, OP. Cit., P.159

زحفها داخل الحدود البيزنطية وأجبرها على التقهقر إلى داخل أراضيها (١) ، ثم استدعاه أندرونيقوس للإستعانة به فى إخماد ثورات بعض المدن التى تمردت على حكمه لواخرعام ١١٨٣م (٢) .

ظل بيلا الثالث ملك المجر يحدوه الأمل للفوز بعرش بيزنطة رغم فشله فى المرة السابقة فحاول فى هذه المرةعام ١١٨٤م التقرب من البيت الكومنينى عن طريق طلب الزواج من ثيودورا شقيقة مانويل الكبرى – الوحيدة التى بقيت فى عائلة مانويل والتى أغتيل زوجها الثانى على يد أندرونيقوس-ليعيد التحالف البيزنطى المجرى مرة أخرى ، وليكسب ولاء المزيد من نبلاء البيت الكومنينى وغيره وما كاد أندرونيقوس يسمع بأنباء تلك الإتصالات حتى قام بإرغام الأميرة ثيودورا على دخول الدير والتدرج فى سلك الرهبانيجة رغماً عن إراداتها ، بينما ظلت قوات بيلا الثالث على الحدود البيزنطيةمنتظرة الإذن بالدخول إلى العاصمة (٣) ولم يغيرمن مقدها سوى سماعها بأنباء زحف القوات النورمانية داخل الحدود البيزنطية فم تبرح مواقعها منتظرة ما ستسفر عنه الأحداث (٤).

١–لمزيد من التفاصيل عن ذلك انظر :

Ibid., P.P. 154- 55 : Oxford Dictionary of Byzantium , Vol. 1, New York , 1991 , P. 94

٢– من اهم المدن التى تمردت على حكم اندرونيقوس : لوبادين Lopadion وبروسا Prusaea . ولمزيد من التفاصيل عن ثورات تلك المدن ودور القائد براناس فى إخمادهاانظر :

Niketas, OP. Cit., P.P. 155- 56

3- Moravcsik, OP. Cit., P. 584

٤– الجدير بالذكر ان العلاقات المجرية البيزنطية على عهد اسرة انجليوس شهدت تغيرا كبيرا فتحولت من العداءإلى الصداقة والتحالف ، إذ تزوج اسحق انجيلوس من مرجريت إبنةبيلا الثالث ملك المجروتلقبت باسم ماريا Maria وقدم بيلا إلى اسحق انجليوس الأراضى التى استولى عليها من الدولة البيزنطية على عهد أندرونيقوس كهدية لابنته وبذلك تربعت الأميرة ماريا على عرش الدولة البيزنطية وذلك فى نهاية ١١٨٥م وللمزيد انظر :

Ernoul, OP. Cit ., P.P. 95-96 Cf. also, Moravcsik, OP. Cit., P. 584; Ostrogorsky OP. Cit.,P. 403

إزدادت الضغوط الخارجية وطأة على الدولة البيزنطية بعد مذبحة عام ١١٨٢م التى راح ضحيتها عشرات الآلف من اللاتين وفرار أعداد كبيرة منهم وعودتهم إى بلادهم رواين تجاربهم المأسوية محين فطلب الأخذ ثارهم من البيزنطين (١). وكانت جمهوريات إيطاليا متوترة بصفة خاصة لما لحق بتجارتها من أضرار(٢)، فضلاً عن أن بعض نبلاء بيزنطة الذين فروا من وجه اندرونيقوس إلى صقلية حاولوا تأديب حكومتها عليه (٣). وزاد من حرج موقف أندرونيقوس قيام اسحق كومنين بالتمرد عى سلطته وانفراده بحكم قبرص عام ١١٨٤م، الأمرالذى أضر بالدولة البيزنطية فحرمها من قاعدة استراتيجية هامة ومن موارد مالية كثيرة كانت تجنيها من تجارتها (٤). ولكى يجفف أندرونيقوس من وطأة هذه الضغوط اضطر إلى إعادة علاقاته مع الغرب رغم مقته له إدراكاً منه أن قطع الصلات معه غير مجدى ويضربمصالح بيزنطة الحيوية. فعقد معاهدة مع جمهورية البندقية فى أواخر عام ١١٨٤م ، وقام بإطلاق سراح ك من تبقى فى الأسر من البنادقة الذين كانوا لا يزالون

١- لمزيد من لتفاصيل عن ذلك راجع:

William of Type , OP. Cit., P.P. 466-67;Eustathios of Thessalonica, OP. Cit., P. 34

٢- تمتعت الجمهوريات الايطالية بصفة خاصة بامتيازات تجارية واسعة فى الامبراطورية البيزنطية ، كما تقلدوا العديد من المناصب المرموقة فى الدولة ، فضلا عن انخراطهم فى الجيش بأعداد غفيرة كجنود مرتزقة وتقاضوا نظير ذلك مرتبات عالية حتى أن البيزنطين كانوا يشعرون انهم غرباء فى داخل بلادهم مما أوغر صدورهم عليهم وتحينوا الفرصة المناسبة للإنتقام منهم، فقاموا باضرام النيران فى الحى اللاتينى بالعاصمة وأحرقوه عن بكرة أبيه ، ولمزيد من التفاصيل عن ذلك راجع :

William of Type, OP. Cit., P.P. 461-65; Michele le Syrien OP. Ct., P.P. 389-92; Eustathios of Thessalonica, OP. Cit., P.P 33-35

3-Niketas , OP. Cit., 164; Eustathios of Thessalonica. OP Cit., P. 58

لنظر أيضا : ابن جبير الرحلة ص ٢٢٩

فى القسطنطينية منذ عام ١١٨٢م، كما وعد بدفع تعويض سنوى لهم نظير ما لحق بتجارتهم من أضرار.وقد بدأ فعلاً فى تنفيذ تلك الوعود وقام بدفع أول قسط فى عام ١١٨٥م (١). وفى نفس العام ولكى يكسب جانب بابا روما قدم مزايا للكنسية الكاثولوكية بالقسطنطينية – رغم المعارضة الشديدة التى أبداها بطريق بيزنطة الأرثوذكسى – ومنحها أموالاً كثيرة ولا تزال تعرف حتى يومنا هذا بالكنيسة اللاتينية (٢).

رغم تلك المحاولات الجادة التى قام بها أندرونيقوس لتحسين علاقاته بالغرب ، إلا أنها لم تجد شيئا أمام الخطر النورمانى الذى كان يمثل بحق تهديدا خطيرا بحق تهديداً خطيراً للقسطنطينية ك لذا لم يجد أندرونيقوس

1-Niketas , OP. Cit., 161; Emoul, OP. Cit., P. 91 Cf. also , Vasiliev, OP. Cit., P. 436; Ostrogorsky, OP. Cit., P. 399

والجدير بالذكر أن اسحق كومنين ظل يحكم قبرص إلى أن انتزعها منه ريتشارد قلب الأسد وهو فى طريقه إلى عكا فى الحملة الصليبية الثالثة ١١٩١م ولمزيد من التفاصيل عن ذلك أنظر:

Geoffery de Vinsauf, History of te Expedition of Richard Ceour Lion to the Holyland , London , 1848 P.P. 187 - 88 ; Mahkairse, Recital Concerning the Sweet Land of Cyprus entitled " Edited with a Translation and Notes by R. M. Dawkins, Vol. 1,Oxford , 1937, P. 12; Ambroise , the Crusade of Richard Lion -eart, Transe., From the old French by M.J.hubert , New York . 1941,P.P. 106-8.

2- Cognasso, Partoto Politici e Lotte dinastiche in Bizanzio alla morte de Manuele Conneno (Reale Accadermia Delle Scienze di Torino , 1911-12) Turin, 1912P.P. 294-95Cf. Vasiliev, OP. Cit., P. 436

ويشير هايد هنا إلى أنه فى عامى ١١٨٣، ١١٨٤م كان بعض البنادقة فى القسطنطينية يمتلكون عقارات خاصة بهم ، عن ذلك أنظر : هايد : المرجع السابق جـ١ ص ٢٣٤

3- Benedicit le Troburgensis Abbatis , Vitaet Gestis Henric II Anliae Regis, ed. R. H. . F. Paris , 1818, Vol. XVII. (P.P. 436-456)Cf. also Vasiliev, OP. Cit., P. 436; Baudrillart, OP. Cit., P. 1176

بدأ من محاولة الإتصال بقوة كبرى لها وزنها وتعادل القوة النورمانية، فاتصل بسلطان الشرق صلاح الدين الأيوبى عارضا عليه التحالف ضد النورمان وغيرهم من الأخطار المشتركة التى تواجه كل منهما (١).

ولذلك أرسل أندرونيقوس كومنين سفارة إلى الشرق فى سبتمبر ١١٨٥م عارضا على صلاح الدين قيام تحالف بينهما. وعرضت السفارة شروط القسطنطينية لإبرام معهدة معه تمثلت فى أن يقسم صلاح الدين يمين الولاء والطاعة للإمبراطور أندرونيقوس بإعتباره الإمبراطور ، وأن يقوم خو وصلاح الدين بفتح بلاد الشام وأن تقسم فيما بينهم على أن ينال البيزنطيون بيت المقدس والمدن الساحلية ماعدا عسقلان ، وأنه اذا تم الاستيلاء على آسيا الصغرى فسوف تعود إلى الدولة البيزنطية حتى أنطاكية وارمينيا. وفى مقابل ذلك وعد أندرونيقوس صلاح الدين المساعدة فى صراعه ضد الصليبين فى الشام (٢).

١- من الاخطار المشتركة الاخرى التى كانت تواجه كل من أندرونيقوس وصلاح الدين : الأتراك السلاجقة فى قونية الذين تمكنوا بعد معركة ميريوكيفالون ١١٧٦م من إحكام قبضتهم على آيل الصغرى واقتطاع لجزاء اخرى من ممتلكات الدولة البيزنطية ، كما أنهم بسيطرتهم على آسيا الصغرى شكلوا تهديدا مماثلاً مانويل ١١٨٠م مما شكل تهديدا للدولة البيزنطية ، كما أنهم بسيطرتهم على آسيا الصغرى شكلوا تهديدا مماثلا لممتلكات صلاح الدين فى شمال بلاد الشام. وهناك أيضاً خطرجزيرة قبرص التى انفصلت عن الدولة البيزنطية وشكل حاكمها اسحق كومنين خطراً كبيرا على اندرونيقوس ، فضلا عن حرمان القسطنطينية من قاعدة استراتيجية هامة وموارد مالية كثيرة كانت تجنبها من تجارتها ،وفى نفس الوقت كان قرب قبرص من الإمارات الصليبية بالشرق يعد تهديدا لصلاح لدين من جهة وفائدة كبيرة لصليبى الشرق من جهة اخرى . وهناك أيضا خطر صليبى الشرق وحلفائهم فى الغرب الأوربى الذى كان يهدد كلا من الدولة البيزنطية والمسلمين فى الشرق على حد سواء.

2-Franz Dölger, Reg. 1563

ويجدر بنا قبل أن نستعرض تفاصيل رد صلاح الدين على شروط تلك المعاهدة أن نشير إلى أن وثائق دولجر Dölger هى المصدر الوحيد الذى أشار إلى شروط تلك المعاهدة دون غيره من المصادر مما يجعلنا نأخذ جانب الحذر عند تناولنا لها.

وإذا أمعنا النظر فى شروط تلك المعاهدة نجد أنها تميل أكثر لصالح أندرونيقوس كومنين وليس إلى صلاح الدين رغم أننا إذا قارنا بين موقفيهما داخليا وخارجيا لوجدنا أن كفة الميزان تميل أكثر لجانب صلاح الدين ، فقد كان الإمبراطور أندرونيقوس كومنين يواجه صعوبات داخلية كثيرة منها تخليص الدولة البيزنطية من الامتيازات التى يتمتع بها اللاتين ، وإضعاف الأرستقراطية القابضة على الوظائف وكبار أصحاب الضياع الذين تسببوا فى إنهاء واختفاء طبقة المزارعين مما جعله فى خصومة دائمة مع كبار نبلاء الدولة ، فضلا عن تمرد بعض الولايات البيزنطية على حكمه (١) . أما خارجيا فكانت الأخطار محدقة به من كل جانب مثل تهديد المجر والجمهوريات الإيطالية (٢) ، فضلا عن نورمان صقلية وغيرهم (٣) . وفى الجانب الآخر نجد صلاح الدين قد نجح فى ضم المدن الإسلامية وجعلها دولة موحدة قوية (٤) . أما بالنسبة للأخطار الخارجية فلم تكن بنفس القدر الذى

1-Niketas,OP.Cit., P.P.170-4:Eustathius of Thessalonica OP.Cit., P.P. 25-6 Cf.also , Baudriliart, OP. Cit., P. 1175 : Vasiliev, OP. Cit., P. 434

٢- عن تهديد المجر والجمهوريات الإيطالية للدولة البيزنطية انظر ص١٢ ، ١٤ من هذا البحث

٣- عن التهديد النورمانى للقسطنطينية انظر ص ١٩ ، ٣٦ من هذا البحث

٤- عمد صلاح الدين بعد وفاة نور الدين محمود ١١٧٤م/ ٥٧٠هـ إلى مهادنة الصليبيين فى أول الأمر درءا لخطرهم ليتفرغ هو لمواجهة الزنكيين وضم المدن الإسلامية إلى حكمه وتكوين جبهة إسلامية قوية يكون بوسعها التصدى للصليبيين وبالفعل أبرم هدنة معهم وبدأ على الفور تنفيذ الشطر الثانى من خطته ، فأخذ يضم المدن الاسلامية الواحدة تلو الاخرى فتمكن من ضم حمص وحماة وكذلك بعلبك وشيزر وغيرها من المدن الاسلامية وحاول أن يضم حلب إلا أنها استعصت عليه عدة مرات إلى أن تمكن من فتحها فى نهاية الامر فى ١١٨٣م / ٥٧٩ وللمزيد من التفاصيل انظر : ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ٩جـ بيروت ١٩٧٨ جـ٩، ص ١٣١ ، ١ ، أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين، النورية والصلاحية مطبعة وادى النيل بمصر- القاهرة ١٢٨٧ جـ١ ص٢٣٦ ، ٢٢٧ ،ابن شداد: سيرة صلاح الدين الايوبى المسماه بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق د . جمال الدين الشيال - ط . أولى القاهرة ١٩٦٤م ص ٩٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ج٢ تحقيق د . جمال الدين الشيال القاهرة ١٩٦٠ص ١٢٤ ، البزاوى سنا البرق الشامى اختصار كتاب البرق الشامى للعماد الكاتب الاصفهانى تحقيق د. فتحية البنزاوى القاهرة ٧٩ص ٨٣- ٨٤ ، ص ١٠٤ - ١٠٥

كان يواجهه أندرونيقوس كومنين فالصليبيون فى الشرق كانوا يمرون بمرحلة من الضعف والتفكك (١) ولم تمثل قبرص تهديدا خطيرا للدولة الإسلامية فى ذلك الوقت فكيف يتأتى للإمبراطور البيزنطى مع حرج موقفه أن يعرض مثل هذه الشروط على سلطان الشرق صلاح الدين الأيوبى والذى كان موقفه أفضل بكثير من موقف أندرونيقوس كومنين . وخيرشاهد على ذلك ماذكره المؤرخ أبو شامة عن صلاح الدين من قول عن الإمبراطور البيزنطى (والله ما أفلح ملك الروم قط ولا نفع ولا نفع أن يكون صديقا ولا ضر أن يكون عدوا) (٢) .

أما عن رد صلاح الدين على شروط المعاهدة فهو غير معروف إذ لم تمدنا المصادر المتاحة بمعلومات توضح هذه النقطة ولعله قد عدل فى شروط هذه المعاهدة بما يتفق مع مصلحة دولته . والثابت أن رده وصل إلى الدولة البيزنطية بعد الإطاحة بحكم أندرونيقوس كومنين وتربع الإمبراطور اسحق انجليوس على العرش ١١٨٥ -١١٩٥م (٣) ، ومن المرجح أن الأخير تلقى

١- مات الملك عمورى الاول فى ١١٧٤م وورثه الملك بلدوين الرابع ١١٧٤-١١٨٥ م الذى حال مرضه بينه وبين إحكام قبضته على الملك . كما تأججت العداوات الشخصية بين الامراء الصليبيين بعضهم البعض واهتموا بمصالحهم الشخصية دون الصالح العام ولمزيد من التفاصيل انظر:

William of tyre,OP. Cit., Vol,11, P.P.492 - 93: Ernol,OP. Cit., P.P. 105- 6, 116 - 18 : L'Estoire d'Eracles, Empereur et la Conqueste de la Terre d'Outremer'ed R.H.C.H.Occ., (T.11,Paris, 1859, P.P.1-481) P.2

٢- أبو شامة : المصدر السابق جـ٢ ص١٢٨

٣- تولى عرش الدولة البيزنطية فى الفترة من ١١٨٥-١٢٠٤م لباطرة من بيت انجيلوس، وتنسب هذه الأسرة إلى قسطنطين انجيلوس Constantine Angelus الذي يعد جد إسحق الثاني انجيلوس اول لباطرة هذه الأسرة : اسحق الثاني١١٨٥-١١٩٥م ثم من ١١٩٥-١٢٠٣م والكسيوس الثالث ١١٩٥-١٢٠٣م والكسيوس الرابع ١٢٠٣-١٢٠٤م ، انظر: حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية القاهرة ١٩٨٣ص ٢٣٧ حاشية رقم ١٥٩

Cf, also, Vasiliev.,OP. Cit.,Vol., II, P.438; Ostrogorsky OP.Cit., P.400

سفارة صلاح الدين بالترحيب حيث كان فى موقف لا يحسد عليه (١) .

وبعد غزو نورمان صقلية لأراضى الدولة البيزنطية من أشد الأخطار الخارجية التى واجهت الإمبراطور أندرونيقوس كومنين خلال فترة حكمه . فقد أشارت بعض المصادر البيزنطية والإسلامية إلى أن عددا من النبلاء البيزنطيين الساخطين على حكم أندرونيقوس فروا إلى صقلية حيث رحب بهم الملك وليم الثانى William II وطلبوا منهم مهاجمة الدولة البيزنطية وهونوا عليه هذه المهمة .كما أن أحد ادعياء العرش ويدعى اليكسيوس كومنين التجأ هو الآخر إلى وليم الثانى حيث طلب مساعدة صقلية فى محاولته الفوز بعرش القسطنطينية ، كما أن اللاتين الناجين من مذبحة ١١٨٢ م جابوا أنحاء الغرب الأوربى بما فية صقلية حيث حرضوا ملوكها للأخذ بثارهم من البيزنطيين (٢) . وقد استجاب وليم الثانى لهذه المطالب وأعد حملة كبيرة لمهاجمة الدولة البيزنطية وللوهلة الأولى تبدو هذه الأسباب السابقة الذكر مقبولة إلى حد ما لقيام وليم الثانى بحملته ضد الدولة البيزنطية . ولكننا إذا أمعنا النظر فى تلك الأسباب السابقة نجد أنها لا يمكن أن تكون أسبابا قوية لقيام مثل هذه الحملة الكبيرة التى أعدها وليم الثانى ضد القسطنطينية ، فلجوء بعض النبلاء الهاربين من بَطش أندرونيقوس كومنين لا يمكن أن يكون بأى حال من الأحوال سببا مقنعا لقيام مثل هذه الحملة ، كما أن لجوء اليكسيوس كومنين إلى صقلية ومناشدته الملك وليم الثانى للفوز بالعرش لا يمكن أن يكون هو الآخرالسبب الجوهرى لقيام هذه الحملة خاصة وأن اليكسيوس كومنين هذا لم يكن من أفراد الفرع الحاكم من

١- لمزيد من التفاصيل عن السفارات المتبادلة بين صلاح الدين وإسحق انجيلوس والمعاهدة التي أبرمت بينهما انظر:

أبو شامة : المصدرالسابق ، جـ٢ ، ص١٠٢ ، ابن سداد:المصدر السابق ص ٢٠٥- ٢٠٨

2- Niketas, OP. cit., P. 164; Eustathius of Thessalonica, OP. Cit., P. 85

ابن جبير : الرحلة ، ص٢٢٩ ، انظر أيضاً : هايد: المرجع السابق ص٢٣٤

بيت كومنين ليدعى وليم الثانى أنه إنما قصد بمهاجمته القسطنطينية استعادة عرش بيزنطة من مغتصبه . هذا وإن كان هناك من المصادر من أشار إلى أن اليكسيوس هذا هو اليكسيوس الثانى ابن مانويل وهذا رأى يجانبه الصواب (١) . وربما يذكر البعض أن وليم الثانى قام بحملته ضد بيزنطة رداً على المذبحة التى قام بها البيزنطيون ضد اللاتين بالقسطنطينية عام ١١٨٢م والحقيقة أن هذا افتراض يعوزه الدليل ، إذ أن مذبحة عام ١١٨٢م كانت موجهة بصفة خاصة ضد الإيطاليين الذين كانوا يشكلون الجانب الأكبر من الجاليات التجارية فى الدولة البيزنطية ولم تشر المصادر إلى أن نورمان صقلية كان لهم تواجد ملحوظ بالقسطنطينية أو إمتيازات تجارية بها (٢) . ورغم ذلك فاننا لا يمكن أن نغفل أهمية هذه الأسباب السابقة ويمكن أعتبارها أسبابا مباشرا ولكنها ليست بحال من الأحوال هى الأسباب الحقيقية ، وإن كان الأمر كذلك فما هى تلك الأسباب التى حركت وليم الثانى للقيام بحملته ضد القسطنطينية .

ونستطيع القول أن العلاقات البيزنطية النورمانية فى أغلبها كانت علاقات عدائية يشوبها الحقد والكراهية ولم تكن تلك العلاقات العدائية وليدة تلك الفترة – أى فترة حكم أندرونيقوس كومنين وإنما كان العداء هو السمة المميزة للعلاقات البيزنطية النورمانية طوال عهودها السابقة فلم تكن محاولة وليم الثانى فى عام ١١٨٥ م لغزو القسطنطينية هى الأولى من نوعها بل سبقتها محاولات أخرى على مدار قرن مضى من الزمان ففى عام ١٠٨١م قام روبرت جويسكارد١٠٥٩–١٠٨٥م بغزو الأراضى البيزنطية محاولا الإستيلاء

١–ابن جبير المصدر لسابق ، ص٢٣٥

٢–قدم الدكتورعادل سليمان زيتون عرضاً من الجاليات التجارية الأجنبية في القسطنطينية وناقش النقطة السابقة ،

والمزيد أنظر: العلاقات بين القوي الإطالية وبيزنطية في القرن الثاني عشرالميلادي ص٢٧٥ ، هليد : المرجع السابق جـ١ ص ٢٣٤

على القسطنطينية وكاد أن يفلح فى ذلك لولا المساعدة التي قدمها سلاجقة الروم فى الوقت المناسب (١) . وفى عام ١١٠٧ م أعاد بوهمند الأول ابن روبرت جويسكارد الكرة وغزا الأراضى البيزنطية ولكنه منى بهزيمة نكراء واضطر إلى عقد معاهدة ديفول (٢) سنة ١١٠٨م . ولم يقتصر الأمر على غزو النورمان لحدود الدولة البيزنطية فحسب ، بل قاموا بغزو الممتلكات البيزنطية فى إقليم قيلقية بآسيا الصغرى عدة مرات وتمكنوا من الإستيلاء على بعضها لفترة من الزمان (٣) .

مما سبق انا أن روح العداء التى كان يكنها نورمان صقلية للدولة البيزنطية هى السبب الحقيقى الذى دفع وليم الثانى للقيام بحملته ضدها عام ١١٨٥ م ، وأن تحريض اللاتين الذين نجوا من مذبحة عام ١١٨٢م

1- Raouel de Caen, Gasta Tancredi Siciliac Regis in Expedition Hierosolymitana, in R.H.C.H.Occ., Vol III, P.705

انظر ايضاً : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ص ١٢٧-١٢٨

٢- من المعروف ان بوهمند الأول أمير انطاكية قد سافر إلي إيطاليا حيث قابل البابا باسكال الثاني ١٠٩٩-١١١٨م وحصلت علي تأييد للقيام بحملة ضد بيزنطة كما نال مساعدة فيليب الأول ملك فرنسا ١٠٦٠-١١٠٨م الذي زوجه من ابنته كونستانس وأرسال شقيقتها سيسليا إلي انطاكية لتتزوج من تنكريد ابن اخته في ١١٠٦م ثم خرج بوهمند في ١١٠٧م بحملته ضد بيزنطة التي انتهت بهزيمته وخضوعه للإمبراطور اليكسيوس بناء علي إتفاقية ديفول Devol التي وقعها معه علي ان يحكم انطاكية كتابع لاكسيوس ولخلفائه من بعده ولمزيد من التفاصيل عن ذلك انظر :

Anne Comnen, the Alexiad, English Trans. by Elezabeth Dawes, London, 1928, P.P. 302-6, 316, 348-59; Albert d, Aix, Histoir Histoir Hierosolymitana in R.H.C.H.Occ., Vol. IV., P. 260; Raouel de Cean, OP. Cit., P.P. 712-14

انظر ايضاً: حسين محمد عطية: إمارة انطاكية الصليبية والمسلمون ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٨٩م ، ص ١٣٢ حاشية ١٤١

١-لمزيد من التفاصيل عن ذلك انظر :

Albert d, Aix, OP.Cit., P. 582; Raouel d, Caen, OP. Cit., P. 706

بالقسطنطينية ولجوء أحد أدعياء العرش البيزنطى وعدد من النبلاء البيزنطيين إلى صقلية وحثهم وليم الثانى على غزو القسطنطينية ما هى الا الاسباب الظاهرية التى أعطت له الضوء الاخضر لغزو اراضى الدولة البيزنطية ومهما يكن من أمر فقد أخذ وليم الثانى ملك صقلية يراقب عن كثب ما يجرى بالقسطنطينية من أحداث للتعرف على أخبارها بشتى الطرق ومن بينها استجواب الرحالة والتجار القادمين إلى صقلية (١) ، وكذلك عن طريق اللاتين الذين كانوا يعملون كجنود مرتزقة بالقسطنطينية ثم سرحوا والتجأ بعضهم إلى الملك وليم الثانى الذى استمالهم إليه وأغراهم بالمرتبات المرتفعة والوعود الكبيرة ونجح فى تجنيد آلاف من الفرسان فى صفوف جيشه (٢) . كما إتخذ وليم الثانى تدابير كثيرة للحيلولة دون وصول أنباء الإستعدادات العسكرية إلى القسطنطينية ومن هذه التدابير اصداره مرسوما يقضى بإغلاق الموانىء الصقلية وعدم مغادرة أى سفينة لها لحين الإنتهاء من تجهيز الأسطول . وقد بلغت سرية هذه الإستعدادات أن مواطنى الجزيرة لم يعرفوا على وجه التحديد وجهة هذا الأسطول وإن حامت ظنونهم نحو القسطنطينية(٣) . ويستشف مما سبق مدى جدية وليم الثانى ملك صقلية فى مشروعه لغزو الدولة البيزنطية وإصراره على نجاح حملته العسكرية ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

١-ومثال ذلك ما حدث مع ابن جبير ومرافقيه الذي ذكر انه مثل بين يدي ملك صقلية هو ورفاقه : فسألنا عن مقصدنا وعن بلادنا بكلام عربي فاعلمناه فاظهر الأشفاق علينا وأمر بانصرافنا بعد أن أحفي في السلام والدعاء فعجبنا من شأنه وكان أول سؤاله لنا عن خبر القسطنطينية العظمي وما عندنا منه فلم يكن عندنا ما نعلمه به الرحلة ، ص٢٢٩

2-Niketas, OP.Cit., P. 164

انظر أيضاً : ابن جبير : المصدر السابق ص٢٣٥

٣- ابن جبير : المصدر السابق ص ٢٣٤

على أى حال أخذت الإستعدادات فى صقلية تجرى على قدم وساق للتجهيز لتلك الحملة وذلك لأواخر ١١٨٤ م وأوائل ١١٨٥م وتمخضت عن أسطول ضخم قوامه ثلاثمائة سفينة حربية ومائة سفينة لنقل الجند والطعام والذخيرة على حد قول الرحالة ابن جبير(١) ، بينما بلغ عدد القوات البرية نحو ثمانين ألف من المشاة وخمسة آلاف من الفرسان على حد قول أيوستاث أسقف سالونيك (٢) .

وفى الثالث عشر من يونيو ١١٨٥م بدأت الحملة النورمانية عملياتها العسكرية ضد الدولة البيزنطية واستهلتها بمدينة دورازو التى وصلتها فى الرابع والعشرين من نفس الشهروتمكنت من الإستيلاءعليها فى نفس اليوم الذى وصلت فيه (٣) ، أما الأسطول فلم يهاجم مدينة دورازو بل اتجة مباشرة من ميناء مسينا إلى مدينة سالونيك البيزنطية (٤) .

وقبل الخوض فى ذكر تفاصيل لعمليات العسكرية التالية هناك تساؤل ينبغى التوقف أمامه وهو لماذا استسلمت مدينة دورازو للنورمان بهذه السهولة ؟ هل لضعف تحصيناتها ؟ أم لقلة الحامية البيزنطية ؟ الموجودة بها؟ أم لافتقارها للقيادة الحكيمة التى تدير دفة الأمور؟ أم لهول المفاجأة التى باغت بها النورمان المدينة ؟ الحقيقة أن وليم الثانى ملك صقلية اتخذ تدابير

١- ابن جبير :نفس المصدر والصفحة

2- Eustathius of Thessalonia, OP.Cit., P. 59

3-Niketas, OP.Cit., P. 164

4- Idem.,

تعتبر مدينة سالونيك المدينة الثانية بعد القسطنطينية من حيث الأهمية وقد اشاد أسقف سالونيك بحصانتها وعظم استحكمتها . وذكرها الإدريس بأنها(مدينة حسنة جليلة كثيرة العمارة برا وبحرا) انظر :

Eustathius of Thessalonica, OP.Cit., P. 59

الإدريس : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ٢م ، مكتبة الثقافة الدينية بدون تاريخ جـ٢ ص٨٠٠

كثيرة للحيلولة دون وصول أخبار حملته إلى القسطنطينية، ورغم صرامة تلك التدابير إلا أن الباحث يستشف من رواية ابن جبير أن هناك سفنا تمكنت من مغادرة موانى صقلية رغم الخطر المفروض عليها وذلك عن طريق رشوة المسئولين فى تلك الموانيء (١) . ومن المحتمل أن تكون أنباء تلك الإستعدادات قد تسربت إلى بيزنطة بشكل أو بآخر، ولكن نظراً لإهتمام أندرونيقوس بتصفية حساباته مع معارضيه من جهة وانغماسه فى شهواته مع النساء(٢) من جهة أخرى فلم يكن لديه من الوقت ما يقضيه فى إدارة شئون دولته الخارجية فى فترة تعد من أصعب الفترات التى مرت بها الإمبراطورية البيزانطية فى القرن الثانى عشر الميلادى . ورغم ذلك فمن المؤكد أن أنباء تلك الحملة العسكرية قد وصلت إلى أندرونيقوس كومنين بعد عبورها الأدرياتى ، فما كان منه إلا أن أرسل قائده براناس John Branas المشهود له بالكفاءة والحنكة العسكرية ليتولى مسئولية الدفاع عن مدينة دورازو ضد الهجوم النورمانى المرتقب ويفعل وصل القائد البيزنطى قبيل وصول الحملة النورمانية بأيام وجيزة ، الأمر الذى لم يمكنه من الإشراف الكامل على تحصينات المدينة واستحكاماتها العسكرية من جهة ، وتنظيم الحامية البيزنطية الموجودة فى المدينة من جهة أخرى. وأحدث وصول القوات النورمانية إلى دورازو فى الرابع والعشرين من يونيو ارتباكاً كبيراً فى صفوف الحامية أدى إلى شل حركتها فى الدفاع عن المدينة وسرعان ما سقطت فى أيدى النورمان وتم أسر قائها وإرساله إى صقلية (٣).

١- ابن جبير : الرحلة ص ٢٣٤

٢- أسهب نيقيتاس فى ذكر تفاصيل علاقات أندرونيقوس العاطفية بعد تربعه على العرش وكيف أنه كان يفضل الذهاب إلى الريف مصطحبا معه محظياته الجميلات ، وكان على رأسهم عازفة الفلوت الحسناء مارابتيك Maraptike ولمزيد من التفاصيل عن ذلك أنظر:
Niketas, OP.Cit., P. P.177-78

3- Eustathius of Thessalonica, OP.Cit., P. 59; Niketas, OP.Cit., P. 175
بينما ذكر ابن العبرى أنهم استولوا على عدة مدن دون تحديد لأسمائها أنظر:
Bar Hebraeus, OP.Cit.,P. 313

عمل النورمان على استثمار ذلك النصر السريع الذى حققوه فى مدينة دورازو فى متابعة زحفهم وضم المدن البيزنطية الواحدة تلو الأخرى، فبعد أن تركوا حامية عسكرية فى دورازو واصلوا زحفهم متجهين صوب مدينة سالونيك التى تعد ثانى المدن البيزنطية شهرة بعد مدينة القسطنطينية(١) . وقبل أن تصل القوات النورمانية إلى مدينة سالونيك كانت قد سبقتهم إليها أنباء المذابح الرهيبة التى ألمت بسكان دورازو مما أشاع جواً من الرعب والهلع بين سكان المدينة وغيرها من المدن المجاورة . ورغم أن أندرونيقوس كان مشغولاً بسفك الدماء وعشق النساء – كما سبقت الإشارة – إلا انه أرسل امدادات بحرية لا بأس بها إلى سالونيك ، فضلاً عن خمس فرق عسكرية (٢) كيما تقوى المدينة على الصمود أما الحصار النورمانى المرتقب مما يعكس لنا إهتمامه بالمدينة وإدراكه لأهمية موقعها وضرورة الحفاظ عليها(٣).

ومهما يكن من أمر فقد وصلت القوات النورمانية البرية إلى سالونيك فى السادس من اغسطس ١١٨٥م، بينما وصل الأسطول النورمانى بعد ذلك بتسعة أيام ، وبذلك تم حصار المدينة براً وبحراً وأخذ النورمان يضيقون الحصار على المدينة ويمطرونها بوابل من قذائفهم التى استمرت ليل نهار دون هوادة كان الهجوم البحرى أشد وطأة وضراوة من الهجوم البرى (٤).

ويقدم لنا أيوستات أسقف سالونيك والذى كان متواجداً آنذاك فى المدينة وشاهد عيان لكل أحداثها صورة حية لما وقع من أحداث منذ بداية

1- Niketas, OP.Cit., Loc Cit.,

٢– والجدير بالذكر أن ٥٠٠ الفرق لم تصل إلى سالونيك ، بل اكتفت بالتعسكر بالقرب من المدينة دون أن تجرؤ على الإقتراب منها خوفا من القوات النورمانية وللمزيد من التفاصيل أنظر :

Idem.,

3- Eustathius of Thessalonica, OP.Cit., P. 62

4- Idem.,

الحصار النورمانى لها وحتى سقوطها فى ايديهم فى الرابع والعشرين من اغسطس ١١٨٥م. وقد أشار إلى ان قائد الحامية الموجودة فى المدينة والذى عهد إليه عنها هوداوود كومنين David Comnen الذى يصفه بانه رجل لاخبرة له (١)، وفاقه المؤرخ المعاصر نيقيتاس فى نعته له(٢). وكان هذا القائد يخشى بطش اندرونيقوس كومنين اكثر من خشيته لخطر النورمان ، فنراه يرسل بتقارير زائفة إلى اندرونيقوس كومنين يطمئنه فيها على أحوال المدينة وقوة تحصيناتها واستبساله فى الدفاع عنها فى الوقت الذى كانت فيه المدينة تتعرض لأشد فترات الحصار. وعندما كان يرسل اندرونيقوس الرسائل يسأله عما إذا كان فى حاجة للمساعدة فيجيبه بانه ليس فى حاجة إليها وانه حقق انتصارات كبيرة على الأعداء. وكانت تلك التقارير المتبادلة لا يطلع عليها احد من سكان سالونيك ولا يحط بها علماً ، ومن تصادف وعلم شيئاً عنها، فإنه لا يستطيع البوح بما علم (٣)، وبدلاً من أن يحرض قواته على الإستبسال والصمود فى وجه النورمان نراه يثبط من هممهم ويثنيهم ويحقر من جدوى مواصلتهم الدفاع عن المدينة (٤).

على أى حال واصلت القوات النورمانية البرية والبحرية هجومها على المدينة وشددت من وطأته فأخذت استحكامات المدينة تضعف واسوارها تنهار أمام قسوة القصف النورمانى لها(٥). ولما أدركت الحامية أنه لاطائل من

1- Idem.

٢- وتدوصف المؤرخ نيقيتاس القائد داوود كومنين بانه كان اكثر اذونة من النساءواجبن من الغزال وإن قدر سالونيك التعس أن يكون هذا الرجلهو الذى كلف بالدفاع عنها (لكان ما كلفوا قرصانا للقيام بعمل قبطان أو مشعوذ للقيام بعمل طبيب) . انظر :

Niketas, OP.Cit.,P.P. 164- 65

3- Eustathius of Thessalonica, OP.Cit., P. 62: Do'lger, Reg. 1562

4- Eustathius of Thessalonica, OP.Cit., Loc. Cit.,

5- Ibid .,P. 67

مواصلة الدفاع عن المدينة بعد أن نفذت الأقوات والذخائر أعلن قائدها- دواوود كومنين - الإستسلام للقوات النورمانية وذلك فى ٢٤ اغسطس ١١٨٥م(١).

يصف لنا أيوستاث اسقف سالونيك حال المدينة بعدما دخلها النورمان فيذكر أن السيف قد بذل فى أهلها دونما بين رجل وامرأة وكبير وصغير وأن النورمان اغتصبوا النساء وجاسوا خلال الديار ينقبون عن الثروات التى خباها أهلها، كما انتهكوا حرمات أماكن العبادة فدنسوها بأقدامهم ونهبوا ذخائرها وأحرقوا الكتب المقدسة وألقوا بالتماثيل والأيقونات على الأرض ووطأوها بأقدامهم وتعقبوا رجال الدين وأناقوهم أشد ألوان العذاب . ولم يستطع القائد النورمانى أن يستعيد زمام الأمور بالمدينة إلا بشق الأنفس بعد ما غصت طرقات المدينة بجثث القتلى والجرحى ومن نجى من القتل وقع فى الأسر وتمنى من بقى على قيد الحياة الموت من جراء مالا قوة على أيدى النورمان من تعذيب وتنكيل (٢).

وقد أرجع أيوستات أسقف سالونيك ما وقع للمدينة من أهوال إلى غضب الرب نتيجة للآثام التى إقترفها أهلها وأن هذا هو الجزاء العادل لهم لقاء ما قدمت أيديهم (٣)، بينما أوعز المؤرخ نيقيتاس سبب سقوط سالونيك فى أيدى النورمان إلى خيانة القائد دواوود كومنين الى وجه إليه أقذع العبارت(٤). وإن كنا نتفق مع ما ذكره نيقيتاس من تقاعس القائد دواوود كومنين وخيانته

١-ينفرد المؤرخ أيوستاث بذكر تفاصيل كثيرة عن حصار النورمان للمدينة عن ذلك انظر:
Eustathius of Thessalonica, OP.Cit., P. P. 67- 138

وقد أخطأ نيقيتاس فى تاريخ سقوطالمدينة فذكر انهفى ٢٥اغسطس انظر :
Niketas, OP.Cit.,P.165

2- Eustathius of Thessalonica, OP.Cit., P. P. 138- 40

والجدير بالذكر أن المؤرخ نيقيتاس نقل هذه المشاهد عن أسقف سالونيك أنظر :
3- Niketas, OP.Cit., P.P. 165- 70

4- Eustathius of Thessalonica, OP.Cit., P. 140

فإننا لا يمكن أن نقنع بأن يكون هذا هو السبب الوحيد لسقوط المدينة فلا بد أن نقر بأن الحامية قد بذلت كل ما بوسعها ولكن أعدادها كانت لا تقارن بما أعده النورمان من قوات، كما أن أسوار المدينة وتحصيناتها لم تكن من القوة ما يكفل لها الصمود أمام ضراوة الهجوم النورماني ، فضلا عن أن الإمدادات والأقوات أخذت تنفد تدريجياً من المدينة ، ومما زاد الطين بلة أن الفرق الخمس التي أرسلها أندرونيقوس لنجدة المدينة لم تجهد نفسها في الوصول إليها حيث اكتفى يوحنا ابن الإمبراطور أندرونيقوس الذي كان على رأس أحد هذه الفرق بالإنشغال بأعمال القنص ، بينما اكتفت الفرق الباقية بالتعسكر بعيداً عن المدينة ومراقبة ما يجرى من أحداث دون أن تجرؤ على الإقتراب وتقديم المساعدة الفعلية للمحاصرين(١). كما أننا لا نستطيع إغفال أهمية تلك المساعدات التي قدمها بعض الاتين – الذين كانوا يقيمون في مجاورات سالونيك–للنورمان وإطلاعهم على عورات المدينة، مما يسر لهم اقتحامها(٢)، مما أدى إلى أن يدب الوهن في قلوب المدافعين فلم يجدوا بداً من الإستسلام خاصة وأن قائدهم كان يفضل ذلك على متابعة القتال .

ومهما يكن من أمر فقد أرجع المؤرخ نيقيتاس أسباب ما حدث بسالونيك إلى كراهية النورمان للبيزنطين وحقدهم عليهم لما حباهم الله من نعم كثيرة ورغد في العيش (٣) وهذا يؤكد صدق ما ذهبنا إليه سابقاً من أن الحملة النورمانية لم يحركها شهوة الثأر لما لحق باللاتين عام ١١٨٢م وإنما حركتها عوامل الكرة والحقد التي كان يكنها النورمان للبيزنطين .

وحينما وصلت إلى القسطنطينية أنباء سقوط سالونيك كان وقعها على الإمبراطور أندرونيقوس وقع الصاعقة فاسقط في يده واضطرب تفكيره

1- Ibid ., P. 175

٢– هايد: المرجع السابق ص ٢٣٤

3- Niketas, OP.Cit.,P.167

وأدرك أن الدائرة ستدور لا محالة عليه وأن الخطوة التالية بعد سقوط سالونيك هى القسطنطينية نفسها، فقام بإعادة تحصين العاصمة وإزالة المنازل الملاصقة لأسوارها من الخارج حتى لاتوفر للنورمان وسيلة سهلة لدخول المدينة ، كما قام بتجهيز ما يقرب من ١٠٠ سفينة لتكون على استعداد لمقاومة الأسطول النورمانى إذا ما هاجم القسطنطينية (١)، وظن أنه بذلك قدم كل ما فى وسعة لإنقاذ العاصمة من النورمان وأطلق لشهواته العنان، فكان دائما يذهب للتنزه خارج المدينة ومعه مجموعة من الغانيات والحظيات . واليوم الذى كان يعود فيه للمدينة يعد يوما مشئما لسكانها على حد قول المؤرخ نيقيتاس (٢). فقد كان يبدو أنه لا يعود إلا لاستئناف أعمال القتل الوحشية ضد من يتصور أنه يتزمر عليه فأخذ الناس يتزامرون من صنيعه وبدأوا يستجيبون للتحريض على الثورة نتيجة لاقتراب النورمان من القسطنطينية فى الوقت الذى لم يقم فيه هو بعمل شئ كافى للتصدى لهم، بل أمر بإعدام كل من بالسجون وكل من يمت لهم بصلة بحجة أنهم تآمروا عليه وسعوا إلى تدميره وتحالفوا مع الأعداء(٣).

على أى حال بعدما تمكنت القوات النورمانية من الأستيلاء على السالونيك وتركت بها من يدافع عنها واصلت زحفها نحو القسطنطينية فى أوائل سبتمبر ١١٨٥م (٤). وبينما كانت أنباء انتصاراتهم تترى على القسطنطينية كان لإمبراطور أندرونيقوس لايزال مشغولاً بتصفية معارضيه دون أن يعبأ بخطورة الأمر، ففى الوقت الذى أمر فيه بالقبض على أحد صغار النبلاء ويدعى اسحق انجيلوس تمكن الأخير من قتل رسول الإمبراطور الذى كان مكلفاً بتلك المهمة وأشهر سيفه الذى كان يقطر دماً وسار فى طرقات

1- Ibid ., P. 176

2- Ibid ., P. P. 177- 78

3- Ibid ., P. P.184- 86 Cf . also , Baudrillart , Op. Cit., P. 1176

4- Niketas,OP.Cit., P.P.175-176 Cf.also Ostrog'orsky , OP.Cit., P.400

المدينة تتعالى صيحاته يطلب الغوث والحماية من الشعب حتى انتهى به المطاف إلى كنيسة سانت صوفيا(١)، وهناك احتشدت الجموع الغفيرة التى أتت من كل حدب وصوب لترى ذلك الرجل الذى تجرأ على قتل رسول الإمبراطور-الطاغية الذى أزهق أرواح الكثيرين-وبعد مشاورات طويلة أجبروا بطريرك المدينة على تتويجه إمبراطوراً عليهم وإقصاء أندرونيقوس عن العرش وذلك فى ١٢ سبتمبر ١١٨٥م(٢).

حدث كل ذلك أثناء غياب أندرونيقوس عن العاصمة، وعندما عاد وعلم بتلك الأخبار حاول قتل اسحق لنجيلوس خلسة ولكنه فشل فى ذلك. فما كان أمامه إلا محاولة الهرب، فراح إلى إحدى السفن التى كانت راسية فى الميناء ورافقته زوجته أجنس إبنة ملك فرنسا وبعض محظياته (٣). ولكن لسوء

١- ويرى المؤرخ نيقيتاس أن الإمبراطور أندرونيقوس أراد أن يعرف شيئا عما يخبئه به القدر وعمن سيخلفه على العرش فأرسل إلى أحد العرافين فى أوائل سبتمبر ١١٨٥ ليتنبأ له الغيب فذكر العراف أوصاف الرجل المذكور وأن بداية إسمه هى كلمة اسحق ، وحدد أن ذلك سيحدث فى ١٤ سبتمبر من نفس العام فظن أندرونيقوس أنه اسحق كومنين الذى انفرد بحكم البوسفلم بعد الأمر إهتماما نظرا لبعد المسافة بين البوسفور والقسطنطينية ، إذ لم يكن بوسع الأخير أن يقطع تلك المسافة الطويلة فى تلك المدة الوجيزة ليقوم بهذا العمل ، ولما كانت أوصاف التى ذكرها العراف لأندرونيقوس تنطبق على اسحق انجليوس ، لذا فقد أمر أندرونيقوس بالقبض على اسحق وأزج به فى غياهب السجن المزيد من ذلك انظر : Niketas , OP. Cit., P.P. 187- 88

2- Ibid, 188- 90 : Ernoul, OP. Cit., P.P. 91- 93 : Bar hebraeus, OP. Cit., P. 319

3- Niketas,OP. Cit., P.P. 191- 92:Niketas , OP. Cit., P.P. Bar hebraeus, OP. Cit., P. 319

والجدير بالذكر أن فيلها ردرون مؤرخ الحملة الصليبية الرابعة ذكر أن الاثنين عندما دخلوا القسطنطينية وجدوا بقلعتها عددا من الأميرات وكانت من بينهن الإمبراطورة أجنس زوجة أندرونيقوس التى تزوجت من بعده الأمير ثيودور براناس Theodore Branas من ذلك انظر:

Villehardouin and de Joinville, Memoirs of the Crusades , translated and introduced by Sir Frank Maizials, London , 1965, P. 64

قدره بدلاً من أن تتجه السفينة بعيداً عن أيدى من أرادوا الفتك به اضطرتها العاصفة إلى العودة مرة أخرى إلى ميناء القسطنطينية حيث قبض عليه ومثل بين يدى الإمبراطور اسحق انجيلوس الذى وبخه على ما اقترفته يداه فى حق الشعب ثم ترك أمره للجماهير الغاضبة التى إجتمع أمرها بعد جدل طويل على وضعه على ظهر جمل أجرب بطريقة عكسية – وجهه للخلف وظهره للأمام – وجابوا به طرقات المدينة ليقتص منه كل من الحق به أذى . وقد قدم المؤرخ نيقيتاس وصفاً تقشعر منه الأبدان للمصير البشع الذى لاقاه أندرونيقوس حتى لفظ أنفاسه الأخيرة (١).

وخلاصة القول أن أندرونيقوس كان يسعى للحصول على السلطة بشتى الطرق ونجح فى ذلك، ولكنه لم يسع للحفاظ عليها، إذ كان بمقدوره أن يصبح بمثابة الدم الجديد الذى يبث الروح فى جسد الإمبراطورية الواهن ، خاصة وهو يمتلك كل خصائص السياسى الناجح. كما كان بوسعه أيضاً أن يمد فى عمر هذا البيت الحاكم – الذى تربع أباطرته على عرش البلاد ما يزيد على قرن من الزمان ونجحوا فى مواجهة أعتى الأخطار وقادوا البلاد إلى بر الأمان – إلا أنه آثر الأدنى على الأبقى وأخلد إلى الأرض ولم يستطيع أن يكبح جماح شهوته المتعطشة لسفك الدماء وحب الإنتقام ، فلم يقض على نفسه فحسب ، بل على البيت بأسره . ولعلنا يجانبنا الصواب إذ قلنا أيضاً أنه كان سبباً هاماً فى سقوط الإمبراطورية نفسها سنة ١٢٠٤م عندما غزاها اللاتين.

وهكذا يطوى التاريخ صفحة أحد لأباطرة البيزنطين الذين تربعوا على عرش البلاد خلال الفترة من ١٨٣–١٨٨٥م، ورغم قصر هذه الفترة الواضح، إلا أنها كانت مليئة بالأحداث الهامة التى أثرت تأثيراً كبيراً على مجريات تاريخ الإمبراطورية البيزنطية. وبموت الإمبراطور أندرونيقوس كومنين وضعت البلاد على أعتاب مرحلة من تاريخها سارت بها بسرعة رهيبة نحو الهاوية .

1- Niketas , OP. Cit., P.P. 192- 93: Ernoul, OP. Cit., P.P . 94 - 95:Bar hebraeus. OP. Cit., P. 319

بيان بالمختصرات الواردة بالبحث

- C.G.U.M.M.Z/ : Corpus der riecichen Urkunden des Mittelalters Und der Meueren Zeit.
- C.M.M.: TheCambridge Medieval History.
- P.G.: Patrologiae Graecae.
- R.H.C. - Doc.Arm. : Recueil des Historiens des Croisades Documents Armeniens .
- R.H.C.-H.Occ.: Recueil des Historiens des Croisades Historiens Occidentaux.
- R.H. G. F. : Recueil des Historiens des Gaules et de la France

أولاً: المصادر الأجنبية

- Albert d´Aix , Historia Hierosolymitana in R. H. C., H. Occ., Vol. IV.

- Ambroise , The Crusade of Richard Lion-Hert, Trans . from the Old French by M.J. Hubert, New York, 1941.

-Ann Comnen , The Alexiad , English :trans. by Elezabeth Dawes, London, 1928.

-Bar Hebraeus, The Chronography of Greory Abu´l Faraj Tanslated from te Syriac by Ernest A. Walls Budge, Vol. I, London , 1932.

- Benedicti le Troburgensis Abbatis Vitaet Gestis Henrici 11 Angliae Regis , ed R. H, G. F. ; Paris , 1818 Vol. XVII, P.P. 436-546.

- F. Dölger, Regesten der Kaiserukunden des Ostromischen Reichs Von 565-1453 in G.G.U.M.M.Z., Berlin, 1924-1960.

- Eracles, Estoire d´Eracles , Empereus et al Conqueste dela Terre d´Outremer ed. R.H,C.H.Occ., T. 11, Paris, P.P. 1-481.

-Ernoul, Chronique d´Ernoul et de Bernard le Tresorier, ed. L. de Mas Latrie , Paris, 1871.

-Eustathius of Thessalonica Marratio de Thessalonica rrbe a latinis Capta Ed. Bekker , I in P.G. , T. 136.

- Geoffery de Vinsauf, History of theExpedition of Richard Ceour Lion to the Holyland , London , 1848 .

- Gregoirele Pretre,hronique de Gregoire le Pretre , Cf. R. H. C. Doc. Arm., T. 1, P.P. 151 - 201.

- Guiragos de Kantzag, Histoire d´Armenie extrait ,Cf. R. H. C. Doc. Arm. T. 1, P.P. 413-430

- Kinnamos , Deeds of John and Manuel Comnenus, Trans. by Charles M. Brad, New York , 1976.

- Mahkairase, Recittal Concerning the Sweet Land of Cyprus entitled "Chronicle" Edited with a Translation and Notes by R.M. DAwkins, Vol. 1, Oxford , 1937.

- Michel le Syrien , La Chronique de Michel Syrien , Cf. R. H. C. Doc. Arm,m T.1, P.P. 309- 409.

- Moketas Choniates Ocity of Byzantium, Trans. by Harry J. Magoulias , Delrsit , 1984.

-Raouel de Caen, Gesta Tancredi Siciliae Regis in Expedition Hierosolymitana,in R.H.C.Occ., Vol. III.

- Robert Clari,Lacoquete deconstantinople.

وقد رجعت إلى الترجمة العربية لهذا الكتاب وهى تحت عنوان فتح القسطنطينية على يد الصليبيين، ترجمها من الفرنسية القديمة وقدم لها د. حسن حبشى ، القاهرة ١٩٦٤م.

- Sempad, le Conetable, Chronique du Royaume de la Armenie extrait, Cf. R.H.C. Doc. Arm. , P.P. 610-619.

- Vahram d'Edesse, Chronique Rinee des Rois de LaPetite Armenie , Cf. R.H.C. Doc. Arm., P.P. 493-535.

- Vartan le Grand, Abrege d'Histoire Universelle, Cf. R. H. C. Doc. Arm., I, P.P. 431-443.

- Villehardouin and de Joinville, Memoirs of the Crusades, Translated introduced by Sir Frank Marzials, London, 1965.

- William of Tyre, A History of Deeds Done Beyond the Sea, Trans. by Babcock and Krey, 2 Vols, New York, 1943.

ثانياً : المصادر العربية

- ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ٩جـ، بيروت ١٩٧٨م.

- ابنجبير : الرحلة ،بيروت بدون تاريخ

- ابن شداد : سيرة صلاح الدين الأيوبى المسماة بالنوادر السلطانية، والمحاسن اليوسيفية ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ، ط . لولى القاهرة ١٩٦٤م.

- ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب جـ٢ تحقيق د. جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٠م.

- أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، مطبعة وادى النيل بمصر ، لقاهرة ١٢٨٧هـ.

- الإدريس : نزهة المشتاق فى اختراق الافاق ، ٢م، مكتبة الثقافة الدينية بدون تاريخ .

- البندارى : سنا البرق الشامى ، اختصار كتاب البرق الشامى للعماد الكاتب الأصفانى ، تحقيق د. فتحية النيراوى ، القاهرة ١٩٧٩م.

ثالثاً : المراجع الأجنبية

- Baudrillart, Dictionnaire d´Histoire et de Geographie Ecclesiastiques , T. II, Paris , 1914.

- R. Cessi, Venice to theeve of the fourth Crusade ,C. M. H. IV, Pt.1, 2nd. ed. Hussey , Cambride , 1976, P.P. 251-74.

-Charles Diehl,

- History ofthe Byzantine Empire , Trans. from the french by George B. Ives , New York, 1945.

- Princesses d´Occident a la Cour desComnenes dan figures Byzantines, Deuxiém Série , Paris, 1908,P.P. 191-206 .

- Les reomaneques aventures d´Andronic Comnene dans fiures Byzantines dans la Deuxieme Serie, 1908, Pairs 1908,P.P. 86-133.

- Hussey,

- TheByzantine World, London , 1967.

- The Later Macedonians , the Comneni and the Angeli 1025-1204, C. M.H,. IV Pt. Part. I, 2nd ed. Hussey , Cambridge,1976,P.P. 193-259.

Gy. Moravcsik, Hungary and Byzantium in the Middle Ages, C. M. H. IV, Pt. I, 2nd. ed. hussey , Cambridge , 1976.

-Ostrogorsky , History of the Byzantine State , English Trans. by ussey, Oxford, 1968.

- OxfordDictionary of Byzantium, Vol. 1, New York, 1991.

- Runciman , Byzantine Civilization , Seventh Impression , Great Britain , 1975.

- T.F. Toutt, The Empire and the Papacy , 918-1273,London , 1924.

- Vasiliev, History ofthe Byzantine Empire , 324- 1453, Vol. 11, London , 1971.

رابعاً : المراجع العربية والمعربة

- إسمت غنيم : الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافا ضد القسطنطينية ، دار المعارف ١٩٨٢م.

- أومان : الامبراطورية البيزنطية ، تعريب د. مصطفى طه بدر، دار الفكرالعربى بدون تاريخ .

- حسنين محمد ربيع: دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة ١٩٨٣م.

-حسين محمد عطية : إمارة انطاكية الصليبية والمسلمون، دار المعرفة الجامعية ، اسكندرية ١٩٨٩م.

- سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، مكتبة الأنجلوا المصرية ، القاهرة ١٩٨٢م.

- عادل سليمان زيتون : العلاقات بين القوى الإيطالية وبيزنطة فى القرن الثانى عشر الميلادى ، رسالة دكتوراه لم تنشر بعد ، القاهرة ١٩٧٥م.

- محمد محمد الشيخ : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ،دار المعارف الجامعية ، اسكندرية ١٩٩٤م.

- محمد محمد فرحات : بيروت ودورها فى الصراع الصليبى الإسلامى (١١١٠ -١٢٩١م/ ٥٠٣ - ٦٩٠هـ، رسالة دكتوراة لم تنشر بعد ، اسكندرية ١٩٩٤م.

- محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد الإمبراطور مانويل الأول ١١٤٣- ١١٨٠م، دار المعارف ١٩٨٥م.

- هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ترجمة أحمد رضا محمد رضا ، مراجعة د. عز الدين فوده ، جـ ا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٥م.